عبادى الجوهر

سفير الحزن

(الجزء الأول)

أحمد صادق ديب


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩٠م

تصميم الغلاف : أنور عبد اللطيف
الإخراج الفني والتنفيذ : سيد حفني



تقديم

الأمير: عبدالرحمن بن مساعد

(غريب ..)

(ماقلتلك ..)

من هو .. ؟

(تبي تعرف ..)

هو اللي .. لوخذك الحب

(وبان الشوق ..)

في عينيك ..

وعجزت إنك ...،

تداري حزنك وهمك ..

(واختفت ..)

من ليلتك ...،

كل (الأماني ..)

وماشفت (الصبر) كافي..
تلاقي دمعتك عنده..
يعيش أحزانك بصوته..
ويغني جرحك الخافي..
ولو تبغى الشجن عنده..
ولو تبغى الفرح..؟
قليل من الحزن عنده..
ولو ناديت
وعذبك بعض النداء..
بصوته عنك ينادي..
عرفته ؟!
سفير الحزن في الدنيا..!!
عبادي....

الإهداء

إلى كلّ الذين وقفوا معي في مشواري الفنّي

إلى كلّ من استمع إليّ وأعطاني دفعًا وحماسًا

للاستمرار في هذا المجال ...

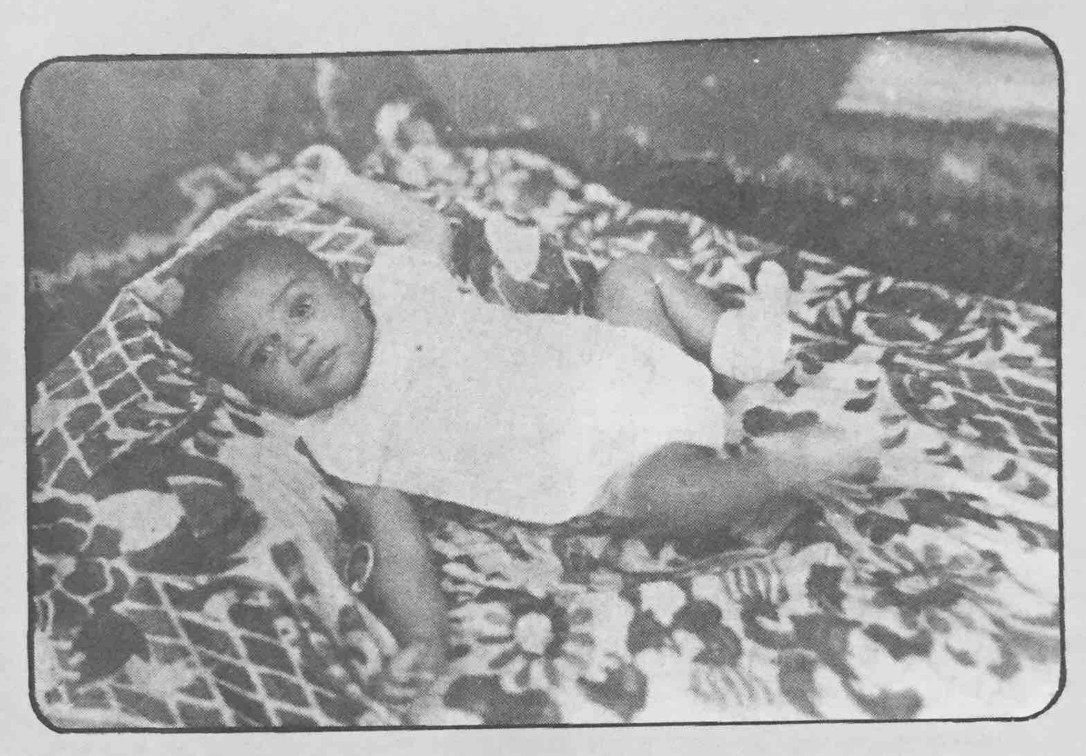
إلى كلّ الناس .. الذين هم أهم أجزاء حياتي ..

« عبادي »

مقدمة

يجب أن أعترف أنّ هذا الكتاب كانت فكرته وليدة الصدفة..
وأن جمع مادته أخذ منّي جهدًا ووقتًا أكثر ممّا كنت أتوقع،
ولكنّي في النهاية أضعه أمامكم لتقرّروا إذا ما كان يستحق
كلّ ذلك ...

«أحمد»



صورة نادرة لعبادي الجوهر وعمره شهر واحد





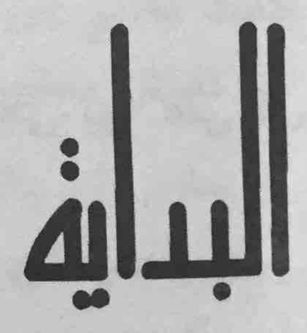
عيادة الدكتور الإيطالي «ميلوجوتسو» مليئة بالمراجعين.. نساء.. أطفال.. رجال.. مرافقون.. كل الغرف تضج بالمنتظرين.. يتخطى محمد جوهر الجميع.. يحتج بعض المرضى يعترض خادم الطبيب.. يصبح أحد المراجعين:

- افسحوا الطريق إنها في حالة ألم..

وخيّم الصمت على غرفة الطبيب.. محمد جوهر انشغل في قراءة وجه الطبيب وكان خوفه يتزايد مع كل نظرة إلى ذلك الوجه الأبيض الذي أصبح يزداد حمرة مع كل محاولة للكشف..

صرخات خديجة تبدِّد السكون والموقف يتأزم اكثر..

تهتز شفتا الطبيب.. تتعلق بهما عيون محمد جوهر..



البداية

كان ليل جدة كامرأة غجرية تنثر ضفائرها السوداء على مسارات الريح. وكان القمر يتدلى كلؤلؤة على صدر زنجية حسناء، حينما استقبل العم محمد جوهر السماء صدراً بصدر على سطح داره بحي العمارية في مدينة جدة يتأمل الكون العجيب في خشوع وسكينة وصمت..

كان صوت ابنه البكر عبدالرحمن الذي لم يتجاوز الخامسة يخترق ذلك الصمت مردداً في لثغه محببة «واحد.. اثنين... ثلاثة... أربعة».

ينطلق صوت زوجته السيدة خديجة تنهر الصبي عن عدّ النجوم.. فيرمي الصغير رأسه في حضن أمه ليستسلم للنوم على صوتها العذب تهدهده:

يارب يرقد
يارب ينام
واذبح له جوزين حمام

وتنقل خديجة الصبي إلى فراشه مقتربة بعد ذلك من زوجها لينخرطا في حوار مسائي مشبع بسكينة الليل..

ـ ترى ماذا تتمنى يا أبا عبدالرحمن أن يكون مولودنا القادم؟!

ـ كل الذي يأتي به الله خيراً..

ـ أنا أريدها بنتاً.. ألبسها أحلى الفساتين وأتباهى بها على كل البنات..

ـ لكنني أريد أخاً لابننا عبدالرحمن يبدد وحدته ويشاركه لعبه..

ـ دعنا نتفق ماذا نسميه لو كان ولداً؟!

- ما رأيك في أن نسميه «عصام»
- عصـام .. عصـام ، إنـه يبدأ بحرف العين أيضاً كاسم أخيه عبدالرحمن ولكن ماذا لو كانت بنتاً؟!
- سوف أترك لكِ حرية اختيار اسم لها.. فأسماء البنات من شئون أمهاتهن.

وتـذهب خديجـة في أحـلام يقـظة عذبـة وهي تتخيـل صوت «المسحراتي» الذي سيأتي بعد أقل من شهر ليطوف الأزقة والأحياء بطبلته الصغيرة.. فيقف على باب الدار ليغني باسم عصام:

عـــصام محمد جوهر
مساك الله بالرضا والسرور.

* * *

يتأمل محمد جوهر ورقة «التقويم الصغيرة» المنتصبة في إحدى غرف شركة بن زقر حيث يعمل وهي تشير إلى الاثنين ١٣ شعبان عام١٣٧٢هـ..

إنـه يوم جديـد في حيـاة موظف هذه الشركة «محمد جوهر» يستهله بتحيـة الصبـاح يوزعها على زملائه في العمل مصحوبة ببعض تعليقاته المرحة، يبادله الزملاء الحب وينهمك الجميع في شئونهم الوظيفية إلا محمد جوهر الذي ظل قلقاً على حالة زوجته خديجة التي شاهدها في ذلك الصباح تودعه وهي متثاقلة.. ربما كانت تعاني من مقدمات آلام الوضع، لكنها بعنادها وصبرها تأبى أن تعرقل خطوه إلى عمله... ربما..

حاول أن يطرد هذا الشعور باقناع نفسه بأن موعد ولادتها لم يحن بعد.. انغمس في عمله.. عاوده الشعور مرة أخرى لم يستطع أن يكبحه هذه المرة..

ذهب فاستأذن من رئيسه.. شق طريق عبر الأزقة والحواري، يصفع الأرض بقدميه متجهاً صوب داره بالعمارية..

طرقاته على الباب كفيلة بجذب خطى صغيره عبدالرحمن.. خديجة لا تزال منتصبة القامة تعيش شئون منزلها.. كل شيء في ذلك البيت يوحي بالهدوء إلا وجه خديجة.. فلقد كان الإنهاك واضحاً عليه..

وينهار صبر خديجة وهي تعلن عن آلامها.. ويتساءل إلى أين؟

الميلاد

عيادة الدكتور الإيطالي «ميلوجوتسو» مليئة بالمراجعين.. نساء.. أطفال.. رجال مرافقون.. كل الغرف تضج بالمنتظرين.. يتخطى محمد جوهر الجميع.. يحتج بعض المرضى يعترض خادم الطبيب.. يصيح أحد المراجعين:

- افسحوا الطريق إنها في حالة ألم..

وخيم الصمت على غرفة الطبيب.. محمد جوهر انشغل في قراءة وجه الطبيب وكان خوفه يتزايد مع كل نظرة إلى ذلك الوجه الأبيض الذي أصبح يزداد حمره مع كل محاولة للكشف..

صرخات خديجة تبدد السكون والموقف يتأزم أكثر..

تهتز شفتا الطبيب.. تتعلق بهما عيون محمد جوهر..

- سيد محمد هناك موضوع يجب أن أطلعك عليه.

- ....

- أعرف مدى انشغالك على زوجتك ولكن واجبي يحتم علي أن أطلعك.

- ....

- إن الجنين يعاني من زيادة كبيرة في الوزن مما سيجعل الولادة

عملية صعبة جدا.. وحتما سنحاول جهدنا ولكننا لا نضمن حياة الأم أوالجنين.

كادت أعصابه أن تفلت منه وهو ينظر في عيني الطبيب الايطالي، شعر وكأن بركانا هائجا يفرغ حممه داخل صدره...

حاول أن ينطق بشيء ما.. ولكنه فقد الكلمات..

هل هذا الطبيب يريده أن يختار بين زوجته وطفله؟!.. هل يحاول أن يأخذ رأيه فيمن يهمه أكثر الأم أو الطفل؟!

وفجأة شعر بأن الكلمات تتدحرج من بين فكيه ولكنه كان يشعر بأنه يعني كل كلمة يقولها.

- بقدر ما يهمني الجنين ولكن حياة زوجتي أهم.. أرجو مخلصا أن تحاول يا دكتور. قالها محمد جوهر وهو يضغط على الكلمات بكل إيمان...

وعاد القلق ينهش في أعصاب محمد جوهر من جديد.. فهو لا يتصور الحياة بدون خديجة!! فزوجته كانت بالنسبة له أهم ما في الوجود.. فهي المرأة التي عاشت معه على الحلوة والمرة وهي التي لم يسمعها يوما تشتكي أو تتذمر من أي حال.. كانت صابرة على كل الظروف وتقهر الألم بابتسامة حتى لا تشغله.

كانت تعطيه الطمأنينة مع كل دعوة تنطقها وهو في طريقه إلى صلاة الصبح كل يوم.. ورغم كل ذلك كان يحتار أحيانا بأي شيء يرضيها فهي دائما قانعة بكل شيء ولم تتمنى يوما شيئا حتى يستطيع أن يسعدها به..

نعم.. لو وضع في موقف اختيار فبالتأكيد لن يتردد في أن يتمنى أن تعيش الزوجة... فالأطفال يمكن أن يأتوا مرة أخرى. ولكن الزوجة الطيبة قد لا تتكرر.

خيم عليه ذلك الهدوء الذي يهشم الصمت بالحركات اللاإرادية..

وقد تركزت عيناه على الباب الذي كتب عليه «الولادة».

كان يحس بالثواني التي يزفها عقرب الساعة المعلقة على باب الغرفة مطارق حديدية تضرب ما بين أذنيه.. والوقت كان ضيقا ثقيلا يأبى أن يمر... ومع كل الثواني كانت دقات قلبه تزداد والقلق ينتشر أكثر والحيرة تفتك به.

قبل أن تعلن الساعة عن قدوم وقت المغرب كان الدكتور جوتسو يفتح ذراعيه بكل الحب ليزف إليه بشرى نجاة زوجته وابنه الجديد عصام، كما كان يرغب أن يسميه، ولم يكن يعلم أن الله قد أراد له اسما آخر.

* * *

البدء

لم تكد السيدة خديجة تصل دارها حتى كانت النية قد اتجهت لديها ولدى زوجها نحو إطلاق اسم عبدالله على الجنين بدلا من عصام وذلك حمدا لله على سلامة الوالدة والولد.. وكانت البداية.

عبدالله محمد جوهر

اشتهر باسم «عبادي» الذي أطلقته عليه أمه منذ الأعوام الأولى.. كانت حياته كحياة الأطفال في سنه في ذلك العصر يعيشون داخل البيت بجوار الأم إلا في الحالات النادرة التي تخرج فيها الأم لزيارة إحدى قريباتها وهو ما كان بالفعل نادرا مع حالة السيدة خديجة والدة «عبادي». ولم يكن هناك تجديداً في الحياة اليومية لهذه الأسرة الصغيرة يغادر ربها صباحا إلى الشركة ليعود ما بعد الظهيرة لتناول الغداء وينام قليلا قبل أن يخرج لصلاة العصر، مصطحبا ابنه الأكبر عبدالرحمن إلى المسجد على الرغم



عبادي محمولاً بين يدي والده وعمره ٣ سنوات

من كل صيحـات الاحتجاج التي يطلقها الصغير وهو يتابع أخاه الأكبر في رفقة أبيه.

* * *

اليوم الذى سكن الذاكرة

لم يكن «عبـادي» في ذلك السن «٣ سنوات» يعي شيئا كان البيت بالنسبة له جميلا.. فبيتهم أصبح فجأة مليئا بالأطفال الذين يقاربونه في السن.. وأصبح بإمكانه أن يتسلل من باب البيت بعد

المغرب وينبهر بذلك الضوء الذي أشعل الشارع وبأعداد الرجال الكثيـرين أمام بيتهم قبل أن تداعب رأسه يد حانية وتربت على كتفيه وتعيده إلى الدار مرة أخرى بين النساء اللواتي كن يبكين بحرارة لم يكن يعرف لها سبب في ذلك السن.. وانقضت الثلاثة أيام المخصصة للعزاء وبدأت جموع الناس تختفي من البيت وبدأ الصغيـر يحس أن بيتهم عاد من جديد إلى هدوءه الذي ينقصه شيء مهم، لم يستطع في تلك السن أن يحدد أن الموت قد خطف أباه إلى الأبد..

كانت وفاة محمد جوهر أحد الطعنات المؤلمة التي تلقاها عبادي مع بداية المشوار، فعلى الرغم من عدم تمكنه من معرفة ما يدور حوله عند وفاة والده.. إلا أن كل يوم يمر كان يحس بأنه يفتقد شيئا مهما جدا هو «حنان الأب».

يقـول عبـادي : «أتذكر والدي رحمة الله كخيال أو كصورة غير واضحة المعالم تماما.. ومع مرور السنوات بدأت أطياف الصورة في التلاشي حتى وصلت إلى مرحلة لا أرى تفاصيلها بشكل عام.. لذا فأنا بالتحديد لا أعرف شكل أبي إلا من خلال الصور القليلة الموجودة لدينا»....

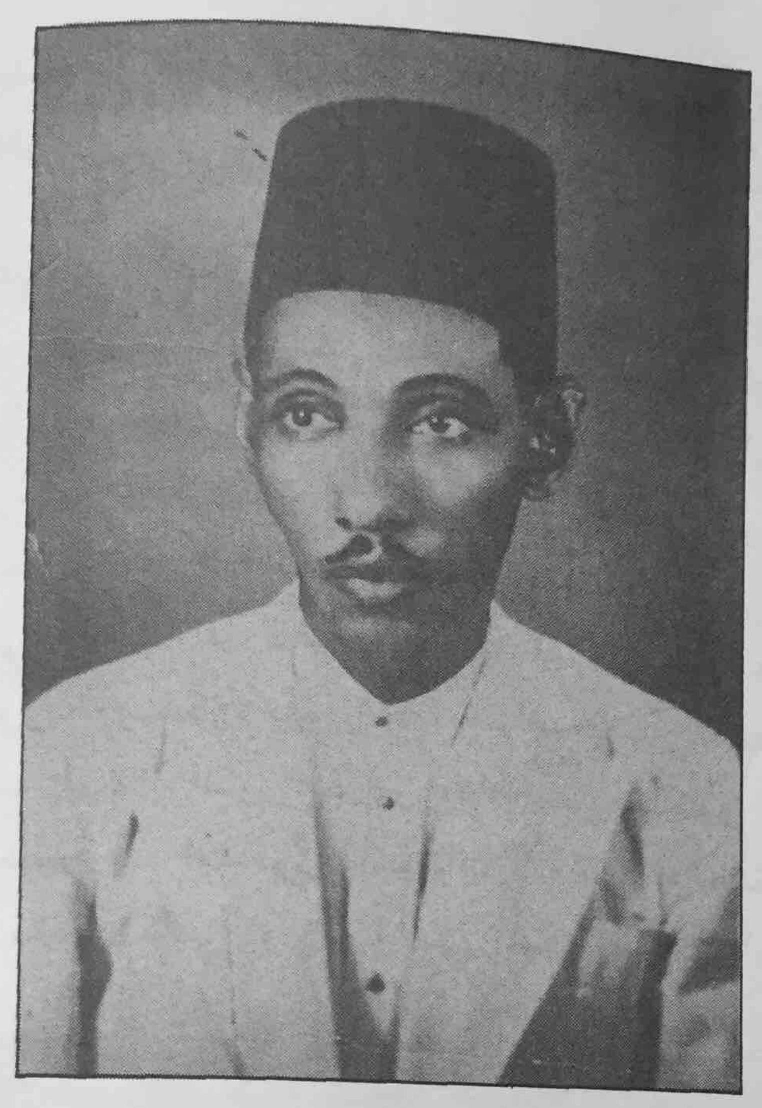
يقول علماء النفس إن الطفل الذي يفقد أباه وهو في سن صغيرة ينشأ في وضع اجتماعي يفتقد إلى القدوة القريبة جدا منه وهو الأمر الذي يمثله الوالد عادة لكل طفل.. ولكن في كثير من الأحيان يتحول هذا النقص إلى عامل إيجابي لدى بعض الأطفال.. فيثير فيهم رغبة الحماس لتحقيق أهداف معينة تفرضه كفرد مستقل الشخصية يستطيع أن يقدم نفسه للمجتمع في ظل غياب الأب.
والمتابع لمسيرة عبادي الجوهر كفنان استطاع أن يشق صخر

الأغنية السعودية لا بد وأن يضم عبادي إلى قائمة أولئك الذين حولوا النقص إلى ظاهرة إيجابية كبيرة جدا تخدمهم.

يقول عبادي : «بكل تأكيد كطفل كنت أحس بأني أحتاج لمن أجلس معه وأتحدث بكل الحب مثل ما يحدث بين أي ابن وأبيه.. رغم أن الوالدة رحمها الله لم تقصر في حقنا أبدا وكانت تحاول قدر إمكانها أن تكون الأم والأب والأخ والصديق لأخي عبدالرحمن ولي، إلا أن هناك شعورا قويا في داخلي ظل يلازمني طوال طفولتي يذكرني بأني أختلف عن بقية الأطفال الذين ألعب معهم وأشاركهم لهوهم، شعور عجيب كان يقوي وأنا أشاهد بعض أصدقائي الصغار يلهثون خلف الرجال الذين يمرون بنا وهم يصيحون «أبويا.. أبويا» يمكن ان نفسر هذ الشعور باحساسي باني لم استطع أن أنطق هذه الكلمة بشكل كافي أو ربما لأني افتقدت معنى أن يكون للطفل



عبادي الجوهر على الطاولة وعمره عامين.. اللقطة في القاهرة وفي يسار الصورة يظهر والده.



محمد جوهر

أبا يستقبله بلهفة وهو عائد من العمل أو يتعلق بثيابه ويطلب أن يرافقه...».

ويتابع عبادي «كنت وأنا صغير جدا - ولازلت - أفرح كثيرا وأنا ألتقي بأحد أصدقاء أبي الذين عاصروه، فالحديث معهم يجعلني دائما أزيد قليلا إلى البناء الذي تمثله شخصية أبي التي أراها في داخلي دائما...».

القلق

رغم أن حياته في البيت أو المدرسة لم تختلف كثيرا عن غيره

ممن هم في سنه إلا أن عبادي كان يحس بأن هناك شيئا مهما جدا ينقصه ولا يعرف ما هو بالضبط، شيء من تلك الأشياء التي تشعر بها في داخلك ولكنك لاتستطيع تفسيرها بسهولة.. ولم يكن عبادي في تلك السن يعلم أن ما يحتاجه فعلا هو إفراغ تلك الشحن من الأحاسيس كموسيقي.

(كنت في الثامنة أوالتاسعة أنهض في الصباح لاتناول طعام الإفطار الذي تكون والدتي قد جهزته وأذهب إلى مدرسة الخالدية الابتدائية وأعود بعد الظهر لأراجع الدروس حتى العصر وعندها أشارك أطفال الحي اللعب في الساحة الرملية الكبيرة أمام مسجد الحي حتى يرتفع صوت المؤذن مناديا لصلاة المغرب ونصلي.. وأعود بعدها إلى المنزل حيث تكون والدتي في انتظاري لأبدأ من جديد في مراجعة الدروس حتى صلاة العشاء.. وبعدها أتناول العشاء ويكون النعاس قد غلبني أحيانا كثيرة وأنا مازلت أمام الطعام فتضطر رحمها الله لحملي إلى سريري.. ورغم أن هذا كان البرنامج اليومي لكل الأطفال في سني إلا أنه كان هناك شيئا من القلق يعصرني أحيانا كثيرة خصوصا عندما أكون وحيدا.

هذا القلق كان رغبة شديدة للتعبير عن أشياء كثيرة أحسها في داخلي ولكني أفشل تماما في اخراجها أو التخلص منها).

لم يكن هذا القلق يغادر عبادي إلا وهو يستمع إلى والدته داخل الدار وهي تترنم ببعض الأغاني القديمة أثناء تأديتها لأعمال البيت..

كانت تلك اللحظات هي الأثيرة على نفسه كان يقف بكل فرح وذهول يستمع إلى غنائها وإلى النقرات الايقاعية الجميلة التي

تضرب بها على طبلة قديمة احتفظت بها سنوات طويلة.

عن تلك اللحظات يقول عبادي: «أتذكر تلك اللحظات وكأنها حدثت البارحة تماما.. فقد كانت من أسعد اللحظات في يومي.. فقد كنت أستمع إلى أمي وهي تغني بهدوء ودون أن يرتفع صوتها كثيرا وكنت أستغرب كيف تستطيع أن توافق الإيقاع المنتظم الذي أسمعه من تلك الطبلة القديمة.. وما لا استطيع أن أصفه هو شعوري في تلك اللحظات...».

لم يكن عبادي يعلم في تلك الأثناء بأن قدره وحياته هو تلك اللحظات التي يعيشها مع الإيقاع ومع الأغنية.

* * *

الطريق

كانت الأيام تمر على عبادي وهو يبحث عن ذلك الشيء الذي يحس به يختلج في داخله ولكنه لا يستطيع أن يعرف ماهيته.. إلى أن حدث الحدث الأول المهم في حياته.

كانت والدته في إحدى زياراتها النادرة لاحدى قريباتها وكان عبدالرحمن خارج الدار الذي احتوى عبادي وحيداً.. وامتدت يدا عبادي إلى المذياع لتفتحه وليرتفع من خلاله صوت طلال مداح يغني.. «وردك يازارع الورد» التي كانت بداية الانطلاقة لهذا الفنان الكبير ولم يشعر عبادي إلى وعيناه قد تركزت على الإيقاع القديم الموجود بجوار الراديو وعندها شعر بإحساس قوي أنه بحاجة إليه وأن لديه رغبة شديدة لأن يتابع النغم الذي ينصت إليه من خلال المذياع.

وامتدت يد عبادي ذي التسع سنوات إلى الإيقاع وأخذت أصابعه تنقر على ذلك الجلد نقرات خفيفة وكأنها إشارة للتعارف

بين الاثنين أو طرق للاستئذان ولم تمض ثوان إلا وكان عبادي يصاحب الأغنية المنبثقة من المذياع بإيقاع صحيح وقوي من حيث تناسق الوحدة الزمنية مع ضبط الريتم.

عبادي نفسه كان أول من فوجىء بذلك وهو نفسه وقف بعد انتهاء الأغنية ينظر إلى الايقاع القديم في يده يتأمله .. وأخذت الأسئلة تتناثر في داخله لماذا شعر بكل هذه الراحة وهو يضرب على الإيقاع؟! كيف استطاع أن يتبع «الريتم» الإيقاعي للأغنية بكل هذه السهولة؟! كانت هذه الأسئلة تدور في رأسه تبحث عن جواب ولكنه لم يستطع ذلك.

وفجأة وجد نفسه ينطلق نحو جهاز «البك أب» الصغير الذي احتضنه ركن الغرفة ليضع إحدى الأسطوانات ويقف أمام الجهاز وقد احتضن الإيقاع ينتظر صوت الموسيقى من الجهاز.. ووجد نفسه ثانية يرافق الإيقاع بكل سهولة بمجرد أن سمع الرثيم الإيقاعي للأغنية وهو الأمر الذي زاد ذهوله.. فأخذ يضع الاسطوانة تلو الأخرى ويستمع إلى الرثيم الإيقاعي وبعدها بلحظات يكون مرافقا للأغنية بكل سهولة ولم يستطع الصغير أن يصدق نفسه كيف استطاع أن يفعل ذلك وبهذه السرعة؟!

لقد رأى أخاه عبدالرحمن على الإيقاع من قبل ولكنه لم يكن بالشكل السريع الذي حدث معه!! هل يمكن أن يقدر له أن يكون ضابط إيقاع؟!.. هل هو فعلا جيد إلى هذه الدرجة؟!

يقول عبادي عن تلك اللحظات: ربما كانت تلك اللحظات.. هي اللحظة التي شعرت بأني وجدت ذلك الشيء الذي كنت أبحث عنها منذ زمن.. ذلك الشيء الذي اشتقت إليه طوال السنين التي مضت وبالتأكيد لن أنسى تلك اللحظات أبدا.. فهي كانت نقطة البداية بالنسبة لمعرفتي بنفسي.

فأنا أتذكر أني احتضنت ذلك الإيقاع القديم ودققت النظر إليه كمن يرى الأفـاعى ترقص على النغم الموسيقي لأول مرة.. كان إحساسا غامضا ينتابني بأن هذه الآلة تعطيني شعورا بالارتياح.

لا يمكن أن يكون الذهول هو إحساسي فقط عندما استطعت أن أساير أغنية طلال من الإذاعة أوالأغاني الأخرى من الأسطوانات، فقد كان شعورا غريبا شعور تحس من خلاله بانك تعيش لحظات من الإبـداع لأسباب لا تستطيع تفسيرها بسهولة ولكنك تعيشها وتشعر بها.

واعتقد أنني فعلا شعرت بقوة الارتباط بيني وبين الموسيقى منذ تلك اللحظات.. وأحسست أنها جزء مهم مني».

لم يكن عبادي يحتاج إلى جرأة أمام والدته ليأخذ رأيها فيما كان يعتقد أنه حققه مع الإيقاع.. فما أن عادت حتى كان يجلس أمامها محتضنـا الإيقـاع وأمام جهاز البيك أب، وبكل هدوء وضع إبرة الجهـاز على الأسطوانة التي أخذت في الدوران والأم تقف أمام صغيرها بكل هدوء.

ومـا أن بدأ الصغيـر في متابعة الإيقاع بكل تلك الدقة حتى شعرت في داخلها بأن صغيرها يملك موهبة ما لابد وأن تتفجر في يوم ما لتبرزه للناس فنانا مميزا.

وما أن انتهت الأغنية حتى كانت تنظر إلى صغيرها الذي أخذ يبادلها النظرات وكأنه يسألها عن رأيها فيما سمعت؟

لم تستطع أن تجيبه.. فقد كانت مندهشة تماما.. وشعرت بأن أقـوالها قد تكون مجرد شعور الأمومة.. فاكتفت بنظرة وابتسامة لطفلها الذي فسرها على أنها إقرارا بأنه كان موفقا إلى حد كبير.



العود

كان عبدالرحمن الأخ الأكبر والوحيد لعبادي لا يقل عنه شغفا بالإيقـاع وكـان التنـافس بينهمـا كبير لضبط الإيقاعات الصعبة ولاكتشـاف من منهما يستطيع أن يتابع الإيقاعات المختلفة التي كانت الإذاعات تزفها من كل مكان من مصر واليمن والعراق وعدن وغيرها.

واستمرت الأيام تمر على عبادي ومع مرور كل يوم كان يحس في داخله أشياء كثيرة لم يستطع الإيقاع أن يخرجها.. حاول كثيرا ولكنه بكل بساطة فشل في ترجمتها إلى شيء محسوس من خلال الإيقاع فقط.

يقول عبادي: «نعم.. عشقت الإيقاع بكل صدق وأمانة.. ولكني مع الأيـام أحسست أنـه لايعـطيني كل الارتياح الذي أحتاجه.. وشعـرت بأن في داخلي أحـاسيس لم استطع أن أترجمها على

الإيقـاع، ورغم هذا لم أترك الإيقاع إطلاقا واليوم وبعد أكثر من عشرين عاما لا أعتقد بأني كنت مخطئا في حبي للإيقاع لأنه روح الموسيقي أو نبضها الذي لامعنى لها من دونه».

وكان القدر شاء لعبادي أن يعثر على ما ينقصه من خلال أخيه عبدالرحمن.. الذي كان عاشقا للموسيقى أيضا.

كان الرغبة موجودة ولكن لا سبيل للحصول على عود بدون مقابل وكانت المعضلة أمام عبد الرحمن هو كيفية توفير ثمن العود.

يقول عبدالرحمن «للتاريخ أقول بأن تفكيري في شراء آلة العود كان ذاتيا» ولم يخطر في بالي على الإطلاق من أن شراء آلة عود وأدخـالها إلى منزلنا سيكون مفتاح البداية لانطلاق مواهب أخي ليصبح واحدا من أشهر من يعزف على هذه الآلة اليوم وكنت أفكر في طريقة لجمع ثمن تلك الآلة التي أحببتها جدا منذ أن قلبتها بين يدي في أحدى الأفراح وأثناء استراحة المطرب.. ولم أجد وسيلة سوى أن أبدأ في توفير ما استطيع من مصروفي البسيط واستغرق الأمـر حوالي سنة كاملة قبل أن أوفر قيمة معقولة لعود متواضع استـطيـع أن أتـدرب عليه، وكأن القدر قد أراد أن أكون وسيلة لإيصال هذه الآلة لأنامل عبادي الذي اشتـهر بها واشتهرت به».

سنة كاملة وعبدالرحمن جوهر يحاول أن يوفر ثمن العود فيما كان عبادي لا يترك الإيقاع أبدا في كل أوقات الفراغ.

وتأهب عبدالرحمن لتلك اللحظة التي يعانق فيها العود وكان يحلم وهو عائد إلى المنزل حاملا ذلك العود بنفسه وقد استطاع أن يجيد العـزف ويصبـح من الفنـانين المشهورين الذين يحيون الأفراح والمناسبات وربما ينفتح له باب السعد فيصبح من المشاهير فتطبع له أسطوانات وتسجل له الإذاعة..

كل تلك الأحلام كانت تداعب مخيلة عبدالرحمن وهو يدخل البيت حاملا العود بكل احترام.. والقى بنفسه في أحد أركان البيت ليبدأ في التدريب.

في تلك اللحظات يفتح عبادي الباب ويدخل ليقف مشدوها أمام تلك الأصوات المتداخلة من غير تنظيم التي يطلقها العود من تحت أنامل عبدالرحمن.. وكانت تلك هي النظرة الأولى مع الآلة التي أصبحت معشوقة عبادي الأولى.

وقف عبادي مشدوها أمام العود وأخذ ينظر لعبدالرحمن وهو يحاول أن يصدر نغمات متوافقة لبعض الأغاني المعروفة، وقف وقد شعر بأن هناك أشياء كثيرة تتلاطم في داخله وأن الدماء تندفع بقوة إلى عقله وتضغط على أعصابه.. شعر بأن هناك احساسا جارفا في داخله يدفعه لأن يحضن تلك الآلة الصماء التي يحولها الإحساس إلى نبع من الحنان والمشاعر الإنسانية الكبيرة التي يضيق بها صدر الإنسان نفسه..

جلس عبادي في مواجهة أخيه يتأمل تلك الآلة التي أثارت كل هذه المشاعر في داخله.. جلس وهو يشعر بأن هناك علاقة كبيرة ووطيدة بينه وبينها.. علاقة لم يعرف كيف يفسرها ولكنه شعر بها.. شعور من ذلك الذي يجول في صدرك حبا ولا تعرف له سببا.

وعن تلك اللحظات يقول عبادي: «أول آلة عود دخلت بيتنا كان عود أحضره أخي عبدالرحمن.. وكان عمري عندها (١١) عاما.. وأتذكر أني دخلت إلى الغرفة ورأيت عبدالرحمن يحضن ذلك العود ويداعب أوتاره.. وانتابني إحساس عجيب تماما بأن هناك علاقة كبيرة بين تلك الآلة وبيني.. إحساس جعلني أشعر بأن هذه الآلة تشكل جزءا مهما من حياتي إن لم يكن أهمها على الإطلاق.. لو جربت ذلك الشعور الذي ينتاب البعض حين يشاهدون شخصا

ما ويرتاحون له من أول نظرة ستعرف إن ذلك كان جزء من شعوري حين شاهدت تلك الآلة... فحجم الفرحة التي عشتها تلك اللحظات كان أكبر من أصفه أو أن أحاول أن أحدد أبعاده فقد شعرت وكأن عضو مني قد عاد إلى بعد زمن .. وأحسست بأن ذلك الشعور الغامض في داخلي لم يكن سوى شوقا لتلك الآلة التي رافقتني مشوار عمري وكانت مفتاح تملكي لموهبتي.. في ذلك اليوم الذي أحضر فيه عبدالرحمن العود إلى منزلنا شعرت بأن هذه الآلة كما أسلفت هي جزء مني.. وأحسست بأوتارها وكأنها تداعبني وتبادلني الحب وتعطيني كل المفاتيح إلى نغماتها اللامحدودة.. وكنت أنظر إلى الآلة وأنظر لعبد الرحمن وكأني أرجوه أن يترك لي فرصة لإدارة تلك الأوتار التي تبتسم لي.. ولكنه كان مشغولا جدا عني فلم يلاحظ رغبتي الملحة وأخذ في مواصلة محاولاته للسيطرة على تلك الآلة وأنا أموت شوقا لها.

وأتذكر تماما أن عبدالرحمن قضى ما يقرب عن الساعتين في محاولاته وأنا جالس أمامه بلا حراك وعيناي لا ترتفعان عن الآلة إلا لترجوه.. وإلى الآن ما زلت أشعر بأن تلك الساعتين كانت أطول فترة مرت بحياتي كلها.».

وعبدالرحمن أيضا لايزال يتذكر تلك الساعتين الآن ويؤكد أنه رغم أن عبادي كان أمامه لم يلحظ شيئا سوى أن عبادي كان يقف مشدوها أمامه ولكنه لحظتها لم يخطر بباله أن عبادي يرغب في العزف.

يقول عبدالرحمن : « أتذكر ذلك اليوم بوضوح تام.. وأتذكر أن عبادي الذي كان معروفا بعدم بقائه في مكان واحد لفترة طويلة قضى تلك الساعتين أمامي بلا حراك، كنت أظنه معجبا بالآلة وبعزفي البدائي عليها.. ولكن عندما نظرت إلى تعبيرات وجهه التي

كانت تنطق بالإعجاب شعرت بأن في داخل عبادي شيئا ما لم أستطع أن أفسره أبدا في تلك اللحظة.. وظننت أنه يرغب في الاستماع فواصلت محاولاتي ولم أعرف بقسوة ذلك الوقت على عبادي إلا فيما بعد...».

كانت الساعة تشير إلى الرابعة عصرا عندما غادر عبدالرحمن المنزل ليلعب الكرة مع زملائه.. ولم ينتظر عبادي كثيرا قبل أن يمد يدا مرتعشة إلى تلك الآلة وأخذ يقلبها بين يديه ويمرر أصابعه على صدرها الناعم ويلمس ظهرها المصقول ويتحسس تلك الأوتار المشدودة وإحساس عجيب يعتمر في صدره بأنه وجد ضالته أخيرا..

ضم عبادي العود إلى صدره وأخذ يتلمس أوتاره بكل هدوء وبكل حنان وكأنه يطمئن الآلة بأنها في مأمن معه.

يقول عبادي: «في البداية لم أكن أعرف ماذا أريد أن أفعل بهذه الآلة كل ما شعرت به كان إحساسا غامضا بأني أحببتها وأود أن ألمسها وأن أشعر بأناملي تداعب أوتارها.. لا أذكر الآن ماهي النغمات التي تمكنت من عزفها ولكنها بالتأكيد لم تكن نغمات مرتبة أو مقصودة بشكل مركز.. ولكني أذكر أني لم أترك تلك الآلة إلا بعد ساعات طويلة كنت من خلالها توصلت إلى عزف بعض المقاطع لبعض الأغنيات وتركتها ولدى رغبة شديدة بأن أستمر .. ولكن التعب وقدوم الوالدة كانت أسبابا دفعتني إلى تركها كارها.

وأذكر أيضا أنني نمت تلك الليلة وأنا أحلم بتلك الآلة وكيف يمكن أن أعزف عليها في اليوم التالي».

العلاقة :

كان ذلك السن هو ابتداء لعلاقة امتدت عبر ربع قرن من الزمن

وحتى الآن مع تلك الآلة التي أحبها عبادي إلى درجة الهوس فأعطته حنانا ونغما وفنا إلى درجة الإبداع.

واقترن اسم عبادي بهذه الآلة حتى أصبح لا يذكر إلا بها ولا تذكر إلا به.

لم يكن التالي يختلف كثيرا عن سابقه فقد ضحى عبادي بكل ما يمكن أن يشغل بال الأطفال في تلك السن.. فقد ضحى بلعب الكرة مع زملائه وضحى بالمأكولات الشعبية التي كانت تنتشر بالحي بعد صلاة العصر.. وجلس عبادي مرة أخرى يحضن تلك المعشوقة بكل الحب وأخذيواصل محاولاته لكسب ودها النهائي ولأخذ موافقتها على الانقياد له وتسليمه كنوزها التي قدمتها له عبر تاريخه الفني المستقبلي.

واستمر عبادي هذه المرة حوالي ثمان ساعات متواصلة يداعب الأوتار ويتحسس طريقه عبر دروب النغمات يحاول أن يصل بها إلى مرحلة تقنعه.

يقول عبادي: «أتذكر أنني وصلت لمرحلة جيدة مع انتهاء اليوم الثاني من عزفي على العود.. وكنت أشعر بالفرحة تلجلج في أعماقي وأنا استمع إلى النغمات تصدرها تلك الآلة من تحت أصابعي.. وشعرت بأن هذا ما كنت فعلا أنتظره.. وهو الأمر الذي شغل الفراغ الذي أشعر به في داخلي وأحسست فعلا أني تمكنت من عزف بعض الأغنيات التي كانت شائعة في تلك الأيام مثل أغنية طلال مداح «وبعدين معاك» وأغنية عبدالله محمد «ايه ذنبي إيه بس ياأسمر» وأغنية «يا مها» لطارق عبدالحكيم.

في تلك اللحظات بدأ شعوري يستقر على أنه بدا في السيطرة على تلك الآلة وشعر أنها تعطيه زخما من الحب وتبادله شوق بشوق وأخذ عبادي يشتاق لها في كل حين وأخذت الساعات تطول وهو

يحضن تلك الآلة.

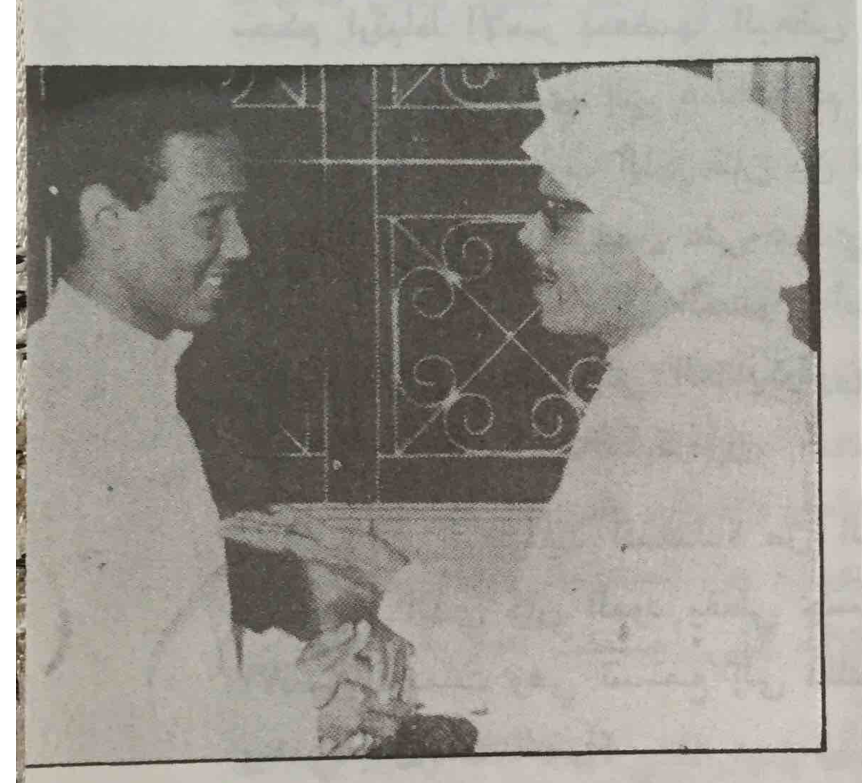
وشعر عبدالرحمن عندها بمقدار الشوط الذي قطعه أخوه الأصغر.. وعرف أنه يملك تلك الموهبة التي تساعد على استيعاب هذه الآلة بسرعة ومقدرة.. فقد لاحظه يستمع إلى الأغنية على الأسطوانة مرة أو مرتين ثم يبدأ في عزفها بكل دقة وبكل التفاصيل.

وترك عبدالرحمن الفرصة لعبادي ليعزف على تلك الآلة بعد أن شعر بحجم العلاقة بين الاثنين.. ورأى في أخيه الصغير ما كان يود أن يراه في نفسه.

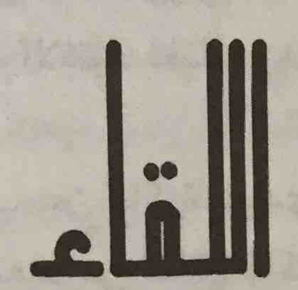
ونمت الموهبة بسرعة لدى عبادي حتى أنه في خلال ستة شهور استطاع أن يعزف وبجودة متناهية معظم الأغنيات التي كانت موجودة في تلك الأيام.

وكانت تلك الليلة إحدى الليالي التي لم تغب عن ذاكرة عبادي.. فقد عاش ذلك الطفل الصغير بعدها أياما يستعيد من خلال ذاكرته أحداثها ويجبر ذاكرته على تجديد ذلك التصفيق والهتاف الذي قابله به الناس.. وكانت الفرحة تطير بعبادي وهو يعيد مالقبه به الجمهور تلك الليلة «عبدالله محمد الصغير».

تلك الليلة بالذات اعطت لعبادي الثقة التي يحتاجها كل فنان وأعطته الجراة لمواجهة الجمهور.. وكانت الركيزة الأولى التي علّمت هذا الفنان بأن الجمهور هو المقياس الحقيقي لنجاح الفنان.



طلال مداح ومحمد عبده في لقطة تعود إلى عام ١٩٧١



اللقاء

أول غناء جماهيري

كان أول لقاء لعبادي مع الجمهور وعمره لايزال «١٢» سنة وذلك من خلال زواج تم في حي العيدروس ودعيت إليه والدة عبادي بحكم ارتباط الأسر ببعضها البعض وكان زواج السيد أحمد عز الدين وذهب عبادي إلى هناك ولم تكن هناك أية نية لأن يغني عبادي.. ولكن المطرب الذي كان من المفترض أن يحيي الحفلة لم يحضر واقترح عبدالرحمن على عبادي أن يغني.. ولم يتردد عبادي كثيرا قبل أن يصعد إلى المسرح أمام الناس ولم يستطع الفنان الصغير أن يصل إلى المايكرفون فوضعوا له «الوسائد» على الكرسي ليصل إلى المايكرفون.

وبدأت التعليقات المعتادة من البعض على منظر ذلك الطفل الصغير الذي كان العود يغطي جسمه بالكامل تقريبا.. ولكن كل الألسن صمتت وهي تستمع إلى ذلك الطفل يعزف بكل تلك الثقة ويغني بكل تلك الجرأة.

وارتفع صوت عبادي مع أغنية عبدالله محمد «ايه ذنبي إيه» .. وما أن انتهى حتى هاله ذلك التصفيق الحاد من الحضور والمطالبة بالاستمرار واستمر عبادي الصغير يغني ويلفت الانتباه لغنائه وعزفه وهو في تلك السن.

وكانت تلك الليلة إحدى الليالي التي لم تغب عن ذاكرة عبادي.. فقد عاش ذلك الطفل الصغير بعدها أياما يستعيد من خلال ذاكرته أحداثها ويجبر ذاكرته على تجديد ذلك التصفيق والهتاف الذي قابله

به النـاس... وكـانت الفـرحـة تطير بعبادي وهو يعيد ما لقبه به الجمهور تلك الليلة «عبدالله محمد الصغير».

تلك الليلة بالذات أعطت لعبادي الثقة التي يحتاجها كل فنان وأعطته الجرأة لمواجهة الجمهور.. وكانت الركيزة الأولى التي علمت هذا الفنان بأن الجمهور هو المقياس الحقيقي لنجاح الفنان.

وعلى الرغم من أن هذه العلاقة هي الأولى مع الجمهور ولكن لا يجب أن ننظر إليها كبداية فعلية لأنها وبكل تأكيد كانت كتحديد معالم البناء على الورق قبل البدء بالتنفيذ.

عبادي والدراسة

وبعد النجاح الذي كان رآه ذلك الفتى الموهوب في تلك الليلة شعر عبادي وكأن العلاقة بين آلة العود وبينه أصبحت حميمة وأنه لا غنى لأحدهما عن الآخر.. وبدأ عبادي مشوارا أكثر جدية وتركيز مع آلة العود.. وكان هذا الاهتمام والتركيز على حساب دراسته التي أهملها بشكل كبير وأصبح غيابه عن المدرسة متكررا وإن حضر فكل عقله قد اشتغل بتلك الآلة التي أصبحت أهم ما يملك.

ولاحظت الأم انصراف ولدها شبه الكلي لهذه الآلة وكان لابد من تدخل حاسم لاعادة صغيرها نحو التفكير في الدراسة بشكل أكثر جدية واهتمام.. وكان تدخلها عمليا ومنعته من الاقتراب من تلك الآلة التي سلبت عقله وأصرت على موقفها إذا لم يعطها وعدا صادقا بأن ينتبه لدروسه ويعود إلى متابعة دراسته.

عبادي كان يعرف أنها تنفذ ما تقوله وأنها إذا أصرت على شيء فلن يقوى على تغيير موقفها.. ولم يجد بدا من الانصيـاع.. وفعلا وتحت إصرارها وملاحظتها بدأ

عبادي في سرقة الوقت من العود ليعطيه لدروسه وكان ذلك وهو في الصف السادس الابتدائي.

وعن هذه الرحلة **يقول عبادي**: «بلغ من تمسكي بهذه الآلة في تلك المرحلة أن أهملت كل ما سواها .. فالدروس لم تعد ذات أهمية بالنسبة لي ولكنها كانت أهم شيء بالنسبة لأسرتي الصغيرة.. وصرفت كل وقتي نحو هذه الآلة الجنونية.. وعندها تدخلت «رحمها الله» وبكل حزم وأصرت على أن امتنع عن العزف حتى أنتهي من دراستي.. وكنت أعرف مدى تمسكها برأيها إذا اقتنعت بما تفعل.. ورغم ضيقي إلا أني لم أجد مفرا من أن أعدها بأن أعطي كتبي وقتا أطولا واهتماما متزايدا.. خصوصا وقد كانت امتحانات السنة السادسة الابتدائية على الأبواب.

وفعلا كانت تصر أن تشاهدني وأنا أذاكر وكل تفكيري منصرف إلى العزف وإلى العود والموسيقى.. ولكني نجحت في الامتحانات في نهاية الأمر..».

ومع بداية الإجازة وجد عبادي مزيدا من الوقت للتدرب على العزف وأخذت قدراته تنضج وتنمو بشكل مميز.

المشوار

وبينما عبادي في غمرة فرحته بآلته المفضلة نشأت في الحي فرقة موسيقية متواضعة من الهواة تركزت اهتماماتها في أحياء الأفراح والمناسبات في الأحياء المجاورة مقابل مبالغ متواضعة من المال.. هذه الفرقة انشاءها عبدالله وعبدالرحمن حميدي وبخيت وحامد عبدالمولى وحامد عبد ربه وخليل مدني.

ومع ذلك الحماس الذي يتقد في داخل عبادي انضم إلى تلك الفرقة مع أخيه عبدالرحمن الذي كان يصاحبه على الإيقاع.

ومع انتشار الفرقة من فرح لآخر بدأ عبادي مرحلة جديدة من التأقلم مع الوسط الفني وبدا اسمه يتداول في أوساط المناسبات والفرقة الفنية الصغيرة.. وبدا لقب عبدالله محمد الصغير يلتصق به أكثر.

يقول عبادي عن تلك الأيام: «سمعت بتشكيل فرقة فنية في حينا اسسها الأخوان عبدالله وعبدالرحمن حميدي مع بخيت وحامد عبدالمولى - رحمه الله - بالإضافة إلى حامد عبد ربه وخليل مدني.. وبدأوا في العمل لفترة قبل أن أنضم إليهم مع أخي عبدالرحمن.. وبدأنا نغني في الأفراح والمناسبات السعيدة سواء بمقابل أو بدون مقابل.

وأتذكر أن أول أجر تقاضيته من الفن كان عن طريق هذه الفرقة حيث كان نصيبي (٥٠) ريالا من أحد الأفراح التي أقمناها».

ومن هذه النقطة بدا الشاب مرحلته الحقيقية مع الفن أعطاها كل ما يملك من الوقت والاهتمام والحب.



في المرحلة الأولى من حياة عبادي.. كالعادة لطفي يتحدث وطلال وعبادي يستمعان

الوسط الغنائي

بينما كان عبادي لايزال متنقلا مع فرقته من الهواة من فرح إلى آخر كان قد مضى على ظهور الفنان الكبير طلال مداح أكثر من عشر سنوات استطاع خلالها أن يتربع على عرش الفن الغنائي وأن يطور أسلوب الأداء.. وأن يقدم أسلوبا وغناءا جديدا على الساحة في تلك الأيام يجمع بين التمسك بالقواعد الموسيقية التراثية مع التجديد المستمر في الأداء والعزف وكانت أغنيته «وردك يازارع الورد» هي مفتاح أبواب الشهرة التي انطلق من خلالها ليصل إلى

الآذان من خلال الاذاعـة والأسـطوانات التي انتشرت بشكل لم يسبق له مثيل من قبل.

وظل هذا الفنـان على القمـة الفنيـة وحيدا لايجرؤ أحد على التفكير في إمكانية إزاحته من عليها.. حتى شاءت الأقدار أن يظهر نجم شاب صغير موهوب جدا وذكي جداً هو الفنان الكبير محمد عبده الذي استطاع عبر كفاح أشبه ما يكون بالنحت في الصخر أن يصل إلى أذهان الكثيرين وبدا اسمه يتردد بشكل كبير جعل طلال مداح يراجع حساباته من جديد من إمكانية البقاء على القمة لفترة طويلة.

وبطبيعة الحال كان حول طلال مجموعة من أصدقائه ومحبيه الذين يتحدث معهم بكل طلاقة وحب ولكن لم يكن هناك إنسان أكثر قربا لطلال من صديق عمره الفنان الممثل لطفي زيني.

فلطفي كان بمثـابة العقل المدبر وراء نجاحات طلال المتكررة سواء في الداخل أو الخارج عندما ذهب إلى بيروت ليسجل أغنياته على اسـطوانات أو عندما دخل في شركة كاملة مع طلال وقاموا بإنشـاء شركـة رياض فون في جدة مع شريك ثالث هو الشاعر «المنتـظر» الأميـر خالد بن تركي.. لم يكن لطفي بأي حال من الأحـوال شخصية عادية فقد كان شديد الذكاء وذو عقل تجاري متفتح جدا يستطيع أن يحول موهبة طلال الفنية إلى مصادر دخل مادي جيدة جدا.

عقلية لطفي التجارية الفنية كانت في تلك الأيام هي التي تدير طلال الفنان وتحدد اتجاهاته خصوصا بعد أن اكتشف لطفي في نفسه القدرة على كتابة الأغنية الشعبية بأسلوب سلسل وقوي قدم من خلالها بعضا من أجمل أغنيات الفنان الراحل فوزي محسون

وطلال مداح.

على الجانب الآخر كان لعلاقة طلال مداح القوية بلطفي والتأثير المباشر الذي يستطيع لطفي أن يمارسه على قرارات وآراء طلال أبعد الأثر في ابتعاد كثيرون عن دائرة طلال وتركزهم حول الفنان الشاب الصغير محمد عبده الذي كانوا يرون فيه الوحيد القادر على الانطلاق كنجم مرتقب للأغنية السعودية ويمكن أن ينافس ويهدد مكانة طلال مداح.. وبعض من هؤلاء الذين ركزوا جهودهم حول محمد عبده، كانوا من الذين ساهموا في إبراز طلال مداح إلى ما وصل إليه ومنهم الفنان الملحن عمر كدرس والشاعر أحمد صادق والشاعر الراحل طاهر زمخشري وعباس فايق غزاوي.. وهذا الرباعي كان من القوة والنفوذ الإعلامي بحيث استطاع وخلال فترة قصيرة من الزمن أن يجعل من محمد عبده حديث الناس وأن تصبح أغنياته الأكثر عرضا في الاذاعة.. ولم يخيب محمد عبده أماني الناس الذين وثقوا به واستطاع أن يواصل الدرب بكل ثقة واقتدار.

سألت طلال مداح عن تلك الفترة فقال: «من الطبيعي أنه ليست موهبة محمد عبده أو ذكائه أو طموحه كانت خلف النجاحات المتتالية التي حققها في تلك الفترة، ولكني ساهمت بكل سذاجة في انتشاره من خلال خسارتي لأناس كانوا يقفون معي وتركوني لبعض الأمور وتركزوا حول محمد عبده.. ويأتي في مقدمة هؤلاء طاهر زمخشري «رحمه الله» وعمر كدرس وعباس فايق غزاوي، وأحمد صادق وهذا الرباعي بالفعل فرش الأرض لمحمد عبده بالورد وساهمت بعدم اهتمامي بالأمر في أن أخسر هذا الرباعي الذي كان من الممكن أن يفيدني جدا».

ومع هذه النجاحات التي بدأ محمد عبده في تحقيقها بدأت عقلية لطفي الزيني الفنية التجارية في الحركة في محاولة جادة لإبعاد أي إمكانية للمقارنة بين قدرات ومكانة طلال مداح وبين محمد عبده.

ومن باب إشغال الناس بمنافسة وهمية لا يكون طلال مداح طرفا فيها بدا لطفي الزيني في البحث عن فنان هاو يمكن أن يقدم له لطفي وبمساهمة فنية من طلال تكون بداية انطلاقة قوية تجعل المنافسة محصورة بينه وبين محمد عبده بينما يظل طلال الفنان مميز وكبير وخارج إطار هذا التنافس.. وفي نفس الوقت تستفيد شركة رياض فون من صوت جديد يضيف إلى الساحة الفنية.

وظل لطفي خلال فترة طويلة يحاول إيجاد هذا الفنان الذي يملك من المقومات ما يمكن أن يرفعه إلى مستوى منافسة محمد عبده.. ولكن البحث لم يكن سهلا ولم يكن الزمن الذي استغرقه قصيرا.

كانت بالضبط هذه هي الظروف المتشعبة التي تتحكم في الوسط الفني في تلك الفترة.. صراع داخلي من جانب لطفي وطلال لابقاء الأخير خارج إطار أي منافسة ومحاولات جادة ومدروسة من قبل محمد عبده والملتفون حوله لالغاء نظرية الفنان الواحد.

وعلى الرغم من نجاح عدد كبير من الفنانين الآخرين ونجاح بعضهم في اكتساب شعبية كبيرة مثل عبدالله محمد وفوزي محسون رحمه الله إلا أن أي من الفنانين لم يكن له كثير من الحظ في مجال المنافسة مع طلال أو محمد عبده.

الهواة

واستمر عبادي الجوهر مع فرقته من الهواة أكثر من عام كامل.. استطاع خلالها أن يطور قدراته الموسيقية في العزف بشكل جيد

جدا أخـذ يلفت انتباه زملائه ومن يسمعه من الحضور الذين لم يصـدقوا أبدا أن هذا المستوى من العزف يمكن أن يصل إليه الموهوب خلال فترة وجيزة لاتتعدى العام.

ولكـن إذا عرف السـبب بطل العجب فلم يكن في ذهن ووقت عبادي الجوهر شيء سوى العود فقط كان يقضي معه ما يقرب من (١٠) ساعات يوميا يحضنه ويحول تلك الآلة إلى أنهار من الحنان.

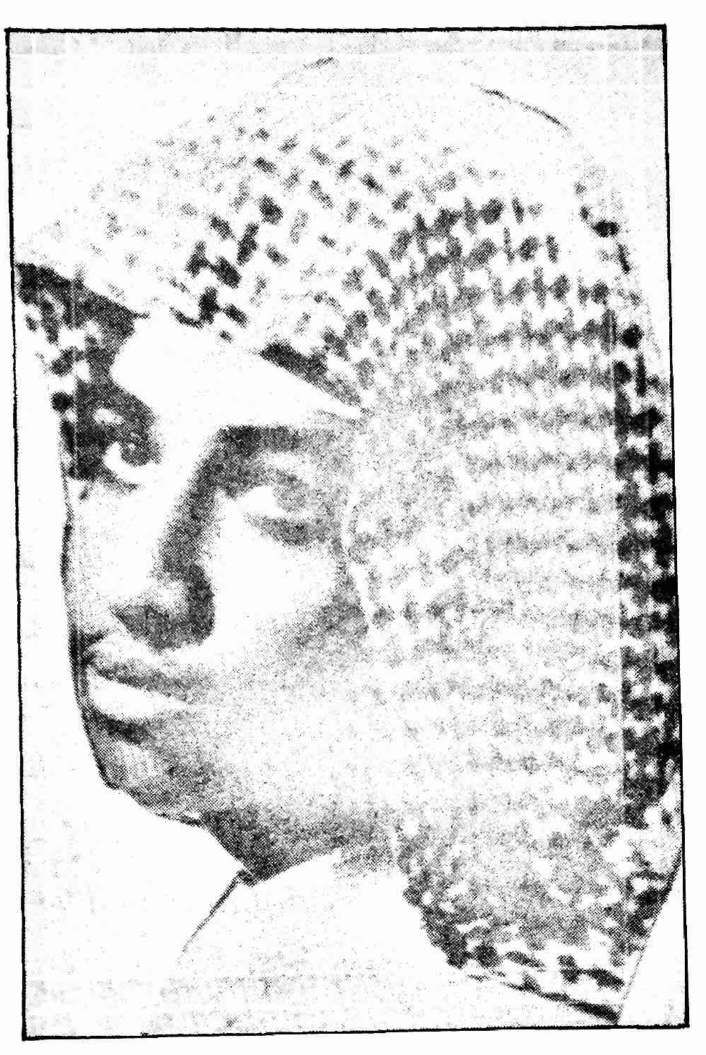
يقول عبادي: «بطبيعة الحال الموهبة تولد مع الإنسان ويصقلها ويـطورهـا مع زيادة العلاقة بين الإنسان وفنه.. والموهوب إنسان أعطاه الله سبحانه وتعالى تلك الميزة فمنا من يستغلها ومنا من لا يكتشفها أصلا.

وعندما أحببت آلة العود لم أشعر بأن شيئا يمكن أن يشارك تلك الآلة في احتلال قلبي.. فقد كنت أقضي أغلب أوقاتي معها دون أن يشاركنا ثالث.. وكانت هذه الأوقات تستمر أحيانا كثيرة لأكثر من (١٠) ساعات يوميا دون ملل أو عناء.. فعندما تحب بكل قلبك فإنك لن تمل من المحبوب مهما أطال البقاء».

ومع عبادي ظل أخاه الأكبر عبدالرحمن مرافقا بالإيقاع وحريصا على أخيـه الصغير ربما لأن عبدالرحمن رأى في عبادي الشيء الذي كان يتمناه في عالم الفن أو ربما لزيادة اطمئنان الوالدة عليه وربما الاثنان معا.

وشاءت الأقدار أن يكون لعبدالرحمن دورا في انطلاقة عبادي كما كان له دور في بداية الموهبة.

النجاح والثقة



عبادي الجوهر قبل «ياغزال»

استمر لطفي زيني في التركيز على الجانب التجاري من علاقته بطلال مداح واستطاع أن يجعل من طلال محترفا للفن في زمن لم يكن هناك غيره محترفا لهذا الأمر.. وظل لطفي العقل المدبر والرجل صاحب الفضل الكبير في استمرارية طلال مداح وتفرغه لفنه.. ونجحت شركة رياض فون للأسطوانات التي يديرها لطفي زيني بالكامل تقريبا بموافقة الشركاء الآخرون .. واستثمر لطفي ذكائه خير استثمار فلم يسجل لطلال فقط ولكنه وزع اهتمامات الشركة على غيره من الفنانين فسجل فوزي محسون وحجاب.. ولكن الفنان الذي كان يود أن يضمه إلى قائمة تسجيلات الشركة كان الفنان

محمد عبده الذي أصر على البقاء بعيدا عن لطفي زيني وطلال مداح.

ورغم النجاحات المتتالية التي سجلها محمد عبده إلا أنه كان يفتقد رغم كثرة من حوله إلى شخصية في حجم وذكاء لطفي زيني تستطيع أن تستثمر صوته بطريقة علمية إلى حد ما في فترة لم يكن للفنان فيها من حقوق مادية واضحة مضمونة.

وطوال المدة التي كان فيها لطفي زيني يفتش بكل حرص وجدية عن صوت جديد يقدمه لمنافسة محمد عبده كان الأخير يقطع أشواطا جديدة من النجاح ويؤكد بأنه الحنجرة القوية التي يمكن لها وبكل تأكيد أن تغير مواقع الكراسي في الصفوف الأمامية في مسرح الفن.

ولكن لطفي لم يستسلم للعجز ولم يرضخ لكل الأدلة التي تؤكد ان المسافة بين طلال مداح ومحمد عبده لن تكون طويلة بعد فترة من الزمن.. فحاول وحاول وقدم فوزي محسون بلونه المميز وأسلوبه العذب ولكن فوزي رحمه الله كان رائداً في لونه الفني الخاص لا ينافسه في ذلك أحد.. ولا يرغب في منافسة الآخرين في ألوانهم التي يحبونها.. لذا لم يكن فوزي هو الشخص الذي يبحث عنه لطفي بكل تأكيد.

الصدفة

لم يكن تسجيل الأغاني في تلك الأيام بالتعقيد الذي تشهده الأغنيات حاليا فليس هناك أجهزة تعددية المجال تتيح زيادة في القدرة على التحكم بالنوعية الموسيقية، ولم يكن هناك أجهزة تسريع الكتروني يمكن لها أن تحسن أداء الفنان.. فقد كان التسجيل بسيطا في كل شيء فقد كانت الأغنية تسجل على شريط دائري

بالعود والإيقاع فقط وإذا كان هناك زيادة فبعض الأحيان تضاف بعض الجمل الكلامية التي يلقيها بعض حضور التسجيل ثم يبعث بالشريط إلى اليونان حيث يطبع على أسطوانات ويعاد إرسالها من جديد.. وهذه البساطة في التسجيل كان يقابلها رخص في الصناعة وسهولة في الدفع مع ضمان أرباح منطقية للشركة المنتجة.

وشاءت الأقدار أن يتأخر ضابط الإيقاع المفترض فيه أن يشارك الفنان فوزي محسون أثناء تسجيل إحدى الأغنيات التي ارتبط بها لطفي بمواعيد محددة للطبع والإرسال إلى اليونان وتحرك ذهن لطفي المتقد جدا فهو لم يعرف الاستسلام في حياته وهي الصفة التي يعرفها فيه كل المقربين منه.. فأخذ يستعيد ذاكرته حول الايقاعيين المفترض تواجدهم في منازلهم في ذلك الوقت .. ولم تسعفه الذاكرة في تلك اللحظة إلا بذلك الشاب الأسمر الذي يسكن غير بعيد عن بيتهم وترتبط أسرته بأسرتهم بعلاقة طيبة وسمع عنه وبقدرته على ضبط الإيقاع ولم يكن هذا الشاب سوى عبدالرحمن جوهر شقيق عبادي الجوهر.

ولم تمر سوى لحظات حتى كان لطفي يقف على عتبة بيت جوهر ليطلب من عبدالرحمن مرافقته إلى حيث التسجيل.. ولم يحتج عبدالرحمن إلى وقت للموافقة فقد كانت فرصة كبيرة له لمرافقة فنان له وزنه مثل فوزي محسون.

ودخل الفضول في صدر عبادي الذي كان يستمع إلى لطفي وعبدالرحمن، ووجد أنها فرصة له لمشاهدة عملية صناعة الأغنية وتسجيلها.. ومشاهدة فوزي محسون رحمه الله.. وهي فرصة قد لا تتكرر إطلاقا في المستقبل.. وطلب مرافقتهم ووافق لطفي ووافق عبدالرحمن بعد ان استأذن من والدته.

وانـطلقت سيارة لطفي تحرث الأرض نحو منزل السيد محمد السيف حيث يتم التسجيل لهذه الأغنية.. ومحمد السيف هو واحد من هواة الفن والفنانين وصديق لهم جميعا وكان بيته أمام قصر خرام مقرا لكثير من التسجيلات التي تمت في تلك الأيام.

وسجل فوزي محسون أكثر من أغنية رافقه خلالها عبدالرحمن على الإيقـاع.. بينمـا كان عبادي مبهورا بسهولة العملية وطبيعة الأداء الذي كان يميز الفنان فوزي محسون.

وتنفس لطفي الصعداء مع انتهاء التسجيل فقد وفى بوعده مع الشركة ونفذ الأعمال.. وفجأة تذكر لطفي جزءا من الحوار الذي كان يجـريـه مع عبدالرحمن في السيارة حول شقيقه الأصغر عبادي وكيف أنه من هواة الفن وأنه يجيد الغناء أيضا.. لطفي لم يكن ملقيا بالا بشكل مركز لأقوال عبدالرحمن فقد كان يحاول أن يسابق الزمن في محاولة لأن ينجز التسجيلات الخاصة بفوزي في نفس اليوم.. ولكن الآن وبعد الانتهاء يستطيع أن يركز أكثر ويسمع أكثر.

وبدون مقدمات وجه لطفي سؤاله لعبادي:

- سمعت أن لك ميولاً موسيقية؟

وبخبرة لطفي الكبيرة في هذا المجال فقد كان على استعداد لأن يراهن بأن إجـابـة ذلك الفتى الأسمر ستكون خليط من الخجل والاستحياء.. ولكنه فوجىء تماما بحجم الثقة التي كان يتحدث بها ذلك الفتى عندما أجابه.:

- أجل.. فأنا أغني وأعزف على العود.. وأضرب على الإيقاع أيضا..

الثقة

كان عمر عبادي في ذلك الوقت لم يتعد (١٤) عاما ولكن الثقة الكبيرة داخله تدفع من يستمع إليه يتحدث ويعزف أو يغني يشعر

وكأنه أمام تجربة غنائية فنية كبيرة قائمة بذاتها.

وبكـل هدوء قدم فوزي محســون العــود لعبـادي.. واستعـد عبدالرحمن لمرافقة أخيه على الإيقاع.. بينما ازداد اهتمام لطفي لسماع هذا الفتى بعد تلك الثقة التي يتحدث بها.

وعلى عكس ما كان يتـوقـع الجميـع فعبـادي لم يبدأ بأغنية مشهـورة ولكنه بدا بفاصل ممتع من التقاسيم على العود جعلت فوزي محسون مشدوها أمام أنامل هذا الفتى الصغير وهو يعزف بكل جراءة.

وكان يحضر هذه الانطلاقة عبدالرحمن جوهر ولطفي زيني وفوزي محسون وصاحب المنزل محمد السيف وأخيه عدنان.

ومن التقاسيم التي سبحت بأخيلتهم في عالم من الإبداع انطلق صوت عبـادي مع أجمـل أغنيـات طلال مداح وأمـام استعجاب وإعجاب الحضور الصغير العدد.. وواصل عبادي الغناء أمام هؤلاء الذين ما أن فرغ عبادي حتى كان السؤال ينطق في أعينهم جميعا: منذ متى وأنت تعزف؟!

ولم تكن الإجابة مقنعة تماما لهم.. فهم لا يصدقون أن يكون كل هذا العزف وكل هذه الحصيلة الموسيقية نتاج سنتين فقط.

ولكن ما اكتسبـه عبادي خلال تلك السنتين كان نتيجة للوقت والمجهود والحب الذي أعطاه لهذه الآلة التي سلبت عقله وتفكيره فبادلته حبا بحب وأعطته الحنان الذي افتقده وطالما بحث عنه.

وبكل اهتمام وتركيز تحرك لطفي زيني نحو عبادي ليسأله بكل حرص إذا ما كان يرغب في تسجيل أغنيات خاصة به على أسطوانات.

ولم ينتظر لطفي الإجابة بل سارع بالضرب على الوتر الحساس

بالنسبة لأي فنان في بداية الطريق بأن أقنعه بأن ينسق له لقاءا مع الفنان الذائع الصيت طلال مداح ليقول رأيه في عبادي.

وفي الحقيقة لم يكن عبادي يحتاج للاقناع فقد كان متشبعا إلى درجة كبيرة بأن مجاله الحقيقي هو المجال الفني ولا شيء سواه.

وهاهو لطفي زيني المعروف بعلاقته القوية مع طلال يعرض عليه أن ينتج له اسطوانات وأن يلاقيه بطلال مداح ليقول رأيه فيه.

إذن فالإجابة معروفة ضمنا ولا تحتاج إلى المزيد من التفكير.. فلم لا .. فقد تكون فرصة العمر الذي يبحث عنها ليندمج في عالم الفن والموسيقى الذي لا يمل منه.. وكانت الموافقة تلقائية.

ولطفي الذي لا يترك فرصة جيدة تضيع دون أن يستفيد منها ضرب لعبادي موعدا في اليوم التالي للقاء طلال مداح في مكتب رياض فون بعمارة الشربتلي بوسط البلد.

بعد أن شاهد لطفي زيني عبادي واستمع إليه، تحركت الأحلام في داخله من جديد ووجد أن هذا الفتى الأسمر النحيف يمكن أن يشكل للشركة دخلا ماديا جيدا بطريقة عزفه وأدائه المميز.. وخصوصا وأننا جمهور عاطفي لأبعد درجة فلا بد وأن نتفاعل مع غناء هذا الفتى وعزفه وصغر سنه.

وبالدرجة الثانية يمكن أن يحقق هذا الفتى الحلم الذي يحلم به لطفي وهو أن يكون منافسا قويا لمحمد عبده يبعده عن طلال مداح خصوصا إذا كانت انطلاقة عبادي قوية جدا ويمكن أن تحقق له نجاحا جماهيريا سريعا..

سألت عبـادي عن تلك الليلة فقـال: «من الطبيعي إني لن أنساها أبدا خصوصا وأنها كانت بداية المشوار الحقيقي لي في خط الفن.. وأتذكر أني لم أشعر بأي خجل أو خوف وأنا أغني أمام

أشخاص من الوسط الفني كلطفي زيني وفوزي محسون رحمه الله... فقد كنت واثقا من قدراتي وواثقا من محبتي لهذا الوسط، لذا عزفت وغنيت بكل إحساس وكأني أغني لنفس..

وللحقيقة فإني لم أفاجأ عندما عرض على لطفي زيني إنتاج أسطوانات لي لأني كنت أرى تأثير ما أقدمه على وجوههم وأنا مازلت في تلك السن المبكرة.. وأعتقد الآن جازما بعد كل هذه السنوات أنني كنت سأستمر في هذا المجال حتى لو لم أنل إعجابهم في تلك الليلة..»

وعندما سألت عبادي عن أسباب إنتاج لطفي زيني له وبهذه السرعة ومدى علاقة ذلك بمنافسه محمد عبده وخدمة طلال مداح قال: «شخصيا لم تكن لدي أهداف سوى أن أستمر في هذا الوسط ولم أكن أعرف أي شيء عن هذا الموضوع فقد كانت بالنسبة لي فرصة ويجب أن استثمرها..».

وعلى الرغم من كل محاولاته للنوم لم يستطع عبادي ذلك فقد كان الحلم أكبر من التعب والإرهاق الذي يشعر به..

كان عقله يعيش في دوامة من الفرحة لا يمكن أن يستوعبها بسهولة.. هل حقا يستطيع أن يسجل أسطوانات باسمه؟!

هل سيرى طلال مداح غدا؟!

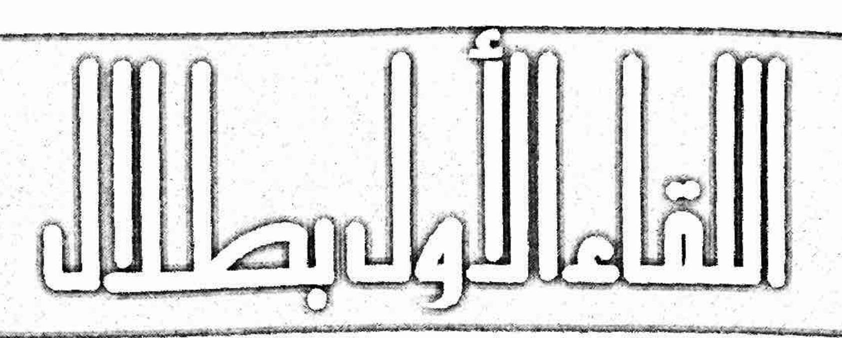
ماذا سيعتقد طلال به؟!

كانت الاستفسارات تعبث بذهن عبادي.. وتلعب به - ولم يجد ونيسا سوى تلك الآلة التي استجابت له فحولت إحساسه إلى نغم هادىء حائر يتبخر كالأحلام مع رطوبة جدة.

عاش عبادي تلك الليلة يحلم بمساء التي تليها حتى يلتقي بطلال مداح ويتحدث إليه ويعزف أمامه. فقد كان هذا الفنان بالنسبة

لعبادي ممثلا لعالم الفن الذي يحلم به عبادي.. وطلال كان القدوة الفنية فأغنياته تنصب إلى داخل عبادي كالماء ويحس بها وكأنه صاحبها.





لم تكد صلاة المغرب تنتهي حتى كان لطفي زيني يقف بسيارته أمام منزل عبادي الذي لم يكن يقل عنه لهفة للانطلاق نحو الهدف الذي يحلم به ورافقهم عبدالرحمن بعد أن أصرت الوالدة على ذلك.

وانطلقت السيارة تنهب الأرض بهم إلى شارع قابل وإلى مكتب رياض فون بعمارة الشربتلي حيث كان طلال هناك محاطا بعشرات المعجبين والأصدقاء والموسيقيين وشعراء الكلمة.

ونظر عبادي إلى طلاح مداح وشاهد الابتسامة الطيبة التي لا تكاد تغيب عن وجه طلال أبدا وكانت المفتاح الذي أذاب قليلا من الوجل الذي شعر به عبادي في هذا المجتمع الجديد عليه خصوصا وأنه أصغر الموجودين سنا.

عبادي اتخذ مكانه في إحدى زوايا الغرفة وأخذ يجيل النظر في كل هؤلاء الذين يحيطون بطلال مداح.. فبعضهم أسماء معروفة في الوسط الفني وبعضهم معجبون يريدون شراء الأسطوانات الجديدة.

كان الجـو بالفعـل غريبا على عبادي وهو يشاهد الفنان طلال مداح على الطبيعة لأول مرة.. يراه كإنسان عادي يمارس حياته العـادية مع أصدقائه وهو الأمر الذي جعله يتابع طلال بكل دقة وحرص حتى لا تفوته فرصة من حركات طلال.

لطفي همس ببعض الكلمات في أذن طلال الذي نظر إلى جهة عبادي وابتسم بكل لطف قبل أن يترك مقعده وسط كل الناس ليتوجه

إلى عبادي مادا يده مصافحا وكأنه يعرفه منذ سنوات.. هذه الحركة البسيطة من طلال كان لها مفعول السحر الذي أذاب الجليد من قلب عبادي، نظر طلال في المكتب حوله ثم التفت إلى عبادي ليقول له:

- كما ترى المكان ليس معدا للاستماع الآن.. ولطفي حدثني كثيرا عنك.. ولذا فأنا أود أن استمع إليك في جو هادىء.. ما رأيكم لو حضرتم مع لطفي مساء الغد إلى منزلي وسأنتظركم هناك؟.

لم يكن عبادي جاهزا فقط ولكنه شعر أن هناك إحساسا يدفعه نحو هذا الرجل الذي يعامله وكأنه يعرفه منذ زمن ولم يلتق به من دقائق فقط.

في منزل طلال

وفي مساء اليوم التالي كانوا ثلاثتهم لطفي زيني، عبدالرحمن جوهر، وعبادي عند طلال مداح في منزله بكيلو (١٠) طريق مكة. وناول طلال العود لعبادي وطلب منه أن يعزف أو يغني ما شاء.

وتناول عبادي العود وبدا بفاصل من التقاسيم التي جعلت طلال ينظر مشدوها لهذا الفتى الأسمر الصغير وهو يعزف بكل هذه القدرة والتحكم.. وبحساسية الفنان المرهفة لمح طلال أن في عزف هذا الفتى شيئا جديدا شيئا لم يستطع طلال أن يحدده ولكنه يشعر به..بكل هذا العمق في العزف لايمكن أن يصل إليه من هو في هذا السن إذا لم يكن ذو قدرة وموهبة خاصة.. فالسرعة في العزف مع الدقة المتناهية تؤكد أن هذا الفتى قد قضى عمرا طويلا.. ولكن العمر الحقيقي الذي يظهر على هذا الفتى يؤكد أن المدة لا يمكن أن تكون طويلة بحال من الأحوال، عكس ما يوحي به العزف وطريقة التطبيق.

ومن الحلم مع التقاسيم انطلق صوت عبادي مع أغنية طلال السائدة في تلك الأيام «ياقمر» ليشاهد طلال وقد تحولت تحت أنامل الفتى إلى أسلوب جديد في العزف والأداء مع الاحتفاظ بكل حذافير اللحن الأساس.

ومع انتهاء عبادي من الغناء لم يتمالك طلال مداح نفسه ليسأله:

ـ رغم صغر سنك.. ولكن منذ متى وأنت تعزف؟!

قالها طلال وهو يتفكر فيما استمع إليه قبل قليل من هذا الفتى الأسمر النحيل.

وبقدر ما كان عبادي متشوقا للاستماع لرأي طلال بقدر ما شعر بالسرور من الانطباع الذي يراه على وجه طلال.

وطلال الإنسان البسيط لم يملك أكثر من ابتسامته المشهورة ليقدمها لهذا الفتى الأسمر قبل أن يوجه الكلام للطفي:

ـ متى ستسجل لفناننا القادم.. يا لطفي..؟

ولطفي لم يكن في حاجة لسؤال طلال فقد كان على استعداد تام للبدء في التسجيل فورا.. ولكنه كان يفكر في طريقة للتخلص من فقرة مهمة تقف في طريق تنفيذ العقد مع عبادي وهي صغر سنه الذي يستوجب موافقة ولي أمره على اجراء العقد.

الفنان الكبير طلال مداح يتذكر تلك الليلة تماما ويقول: «عندما حضر إلي لطفي مع عبادي وأخيه.. لم أكن متحمسا جدا ولكني كنت أود أن أشاهد هذا الفتى الذي يقول عنه لطفي أنه يعزف وكأنه مولود مع العود وفي وقت واحد... وعلى الرغم من كل ما كان يقوله لطفي ورغم ثقتي في ذوقه الفني إلا أنني لم أكن أتوقع أن يكون عبادي بهذا الحجم وبهذه القدرة العجيبة.

وعندما بدأ عبادي الجوهر العزف شعرت بإحساس عجيب لا يمكن تلخيصه في كلمتي الدهشة والإعجاب فقط بل يتعدى ذلك إلى

مرحلة الذهول.. فقد كنت أستمع إلى شاب صغير لم يكد يتجاوز (١٤) سنة يعرف بكل هذه الجراءة والقدرة والتمييز .. وكأنه يختط لنفسه لونا جديدا منذ بداية عهده بالفن..».

واتـذكر أني سألته عن الزمن الذي استغرقه في إجادة العود حتى وصـل إلى هذه الدرجـة؟.. ولاحـظت على وجه عبادي بأن السؤال قد تكرر عليه ربما عشرات المرات من قبل..».

إذا كان طلال مداح يقول هذا الكلام عن عبادي وهو لم يمارس العـزف على العود سوى سنتين فالسؤال هو ما المستوى الذي وصل إليه عبادي الآن؟!

الاعتراض

لطفي زيني ومن خلال معرفته الجيدة بأسرة عبادي لم يتوقع أن يقول هناك اعتراضا على اتجاه عبادي نحو الفن وهو يعلم أن والدته محبـة للفن بشكـل مميز وربما يكون عشق عبادي لهذا المجال موروث من خلالها.

الذي لم يتوقعه لطفي حدث بالتمام والكمال فقد رفضت والدة عبادي فكرة اندماج عبادي في هذا الوسط في الوقت الراهن رفضا باتـا.. ولم يستـطع لطفي بكـل ما أعـطي من قوة في الإقنـاع ودبلوماسية في الأساليب من أن يثنيها عن عزمها ذلك وتمسكت بشكل قاطع بضرورة متابعة عبادي لدراسته أولا وقبل كل شيء خصوصا وأنه على أبواب شهادة الكفاءة..

حاول لطفي وحاول عبادي إقناعها بأنه يمكن الجمع بين الاثنتين الدراسة والفن ولكنها رفضت وتمسكت برأيها.

لطفي لم يفقد الأمل وبقى في داخله الكثير من وسائل الإقناع

ولكن ككـل رجال الأعمال الناجحين لم يرد أن يخرج كل ما في حقيبته دفعة واحدة وفضل العودة في وقت آخر ربما اليوم أوغدا أو بعد غد كما كان يخطط..

وبـات عبادي ليلة كان يعتقد أنها ستكون الأخيرة بالنسبة له لفرط الألم الذي كان يشعر به في داخل قلبه.. شعر وكأن حريقا من الإحباط يشتعل في داخل أرجاء جسمه.. وأن أحدا يحاول أن يسحب جلده على فتات الزجاج ليقتلع أحلامه.

الفن كان الحلم الوحيد الذي يتكرر على وعيه كل لحظة، فهل يمكن أن تضيـع فرصته هكذا؟! هل يمكن لأمه التي يعرف أنها تفديه بروحها لو استطاعت.. أن تقف في طريق حلمه؟!

إنـه على استعـداد للتضحية بكل شيء مقابل فنه.. إلا أعز الأشياء إلى قلبه وروحه.. أمه.. فكيف العمل هل يضحي بفنه أم يعصي أمه لأول مرة في حياته؟!

لم ينم عبادي في تلك الليلة.. لم يستطع التعب أو الإرهاق أن يؤثر على مركزه العصبي الذي كان متوترا إلى درجة الانفجار.

الآن وبعد سنوات طويلة يقول عبادي عن تلك الليلة: لا أظن أن هناك ليلة أطول من تلك الليلة مرت علي، فقد كنت واقعا تحت هواجس أشبه ما تكون بالكوابيس رغم أن جفناي لم يعرفا الاغفاء.. كنت مستعـدا لكـل شيء إلا ذلك الاختيار الصعب الذي وجدت نفسي فيه.. فأنا لا يمكن أن أفكر في أن أعصي لأمي أمرا ولا يمكن أن أفكر في اغضابها.. ولكن كيف يمكن أن أهجر الفن وهو كل حياتي.. كان هذا الخيار هو الأصعب الذي عشته حتى اليوم.. وعندما أعود بالذاكرة أحيانا إلى ذلك اليوم أشعر بأن أمي لم تكن ترغب في شيء بقـدر ما كانت تريـد أن تطمئن على مستقبلي

الدراسي في الدرجة الأولى وتعرف مقدار تعلقي بفني في الدرجة الثانية..».

لم يكن الموقف في اليوم التالي أفضل من سابقه فقد طلبت الأم من أخيها حسن جوهر الحضور لمناقشة لطفي وإقناع عبادي بالاهتمام بدراسته أولا وأخيرا.. وحاول لطفي إقناع الخال دون فائدة فقد كانت فكرة اتجاه عبادي نحو الفن غير مقبولة أصلا بالنسبة له ولا يمكن أن يساهم في أن يدمر مستقبل ابن اخته بالموافقة له للسير في طريق مجهول هو الفن وأن يترك دراسته .. حاول لطفي واكتفي عبادي بالمتابعة، وقد سقطت دمعتين على خده وهو يشاهد ذلك الموقف.. هل يمكن أن يكتفي من الفن بالهواية فقط؟!

كان عبادي يشعر بان في داخله ميلا إلى الفن أكبر من مجرد الهواية، كان يحس أن في أعماقه الكثير من المشاعر والأحاسيس التي يود أن ينقلها للناس أن يعلن لهذا المجتمع عن قدومه كفنان يملك حسا مرهفا واتجاها منفردا.

وغادر لطفي ولكنه لم يفقد الأمل فقد كان يعلم أن في أعماق ذلك الفتى الأسمر الكثير من العشق للفن ولايمكن أن يموت عشق بذلك الحجم.. وكان مصمما على إعادة المحاولة مرة أخرى..

لم تكن ليلة عبادي أفضل من الليلة التي سبقتها إن لم تكن أكثر الما.. فقد كان مستعد لكل شيء ما عدا أن يترك الفن.. حاول أن ينام ولكن النوم كان قد عاداه منذ مساء البارحة.. ولم يجد عبادي ونيسا أو جليسا إلا العود.. الذي أخذ يبثه شكواه وكأنه يعطيه كل ما يملك من العشق حتى يتخلص منه.. وكان العود يئن تحت أنامله ينقل إلى جو جدة الرطب كل المعاناة التي كانت تختلج في قلب

عبادي لتختلط مع دموعه.

لم تكن أم عبـادي جاهلة بما تعمل ولكنها كانت حريصة على مستقبل ابنها حتى لو أنها أرغمته حاليا على ما لايريد.

فهي منذ وفاة زوجها «رحمه الله» كانت ترى نفسها الأب والأم لأبنائها.. وكانت متأكدة أن رسالتها في هذه الحياة هي أن تزف ابنيها إلى مستقبل جيد حسب قدراتها.. وإذا كان عبادي يمتلك الموهبة الفنية فلا يزال في الوقت متسعا لأن يعوض ما فاته ولكن الدراسة هي أهم ما يجب أن يكون حياته.

كانت في داخلها مؤمنة تماما بأن في عبادي طاقة كبيرة يجب أن تخرج للناس لتثبت أنه واحد من القلة الذين يملكون كل هذا الإحساس الفني المرهف.. وكانت على استعداد لأن تضحي بكل شيء من أجل مستقبل إبنيها.

رغم كل ثقتها واقتناعه فإنها لم تستطع النوم تلك الليلة وهي تتخيل عبادي يقف أمامها بكل توسلاته ينظر إليها وقد أغرقت عينيه بالدمـوع.. عبادي الذي لم يتعود أبدا أن يتوسل من أجل شيء معين كان اليوم يتوسل إليها بكل الدموع التي جرت على خديه.

وفي لحـظات متناهية من الحيرة والقلق اتاها صوت العود من تحت أنامل عبادي يصرخ وكأنه يتوسل إليها هو أيضا.. كان كل الألم والحسرة التي يفرغها عبادي في عوده تنصب على وجدان أمـه.. وحـولها النغم الحزين إلى كتلة من الألم تشارك ابنها في مشـاعره وأحساسه.. وكانت الأوتار تزداد حزنا مع كل لمسة من عبادي وتزداد هي الما من أجله.

وماهي إلا دقائق، وكانت تقف بكل ذلك الحنان الذي يعتمر في قلبها عند رأس عبادي الذي توقف عن العزف وارتسمت ابتسامة

حزينة على شفتيه ولم يستطع أن ينطق حرفا قبل أن يسمعها تقول:
- إعطني وعدا بالاهتمام بدراستك إذا سمحت لك بالغناء؟
لم يستطع عبادي أن يصدق ما يسمع.. فغر فاه ولم يدري ماذا يقول كانت المفاجأة أكبر من حجم الكلمات.. كيف حدث هذا؟!
فهل يتحول الألم فجأة إلى مصدر سعادة؟!
منذ لحظات كان كل مافي عينيه هو الدموع والآن أخذت الدهشة حتى مخارج الحروف.
- سألتك أعطني وعدا بالاهتمام بالدراسة إذا سمحت لك بالغناء..
نظر عبادي في عيني أمه بكل ذلك الحب الذي يحمله لهذه الإنسانة التي لا يمكن أن يحدد حجم مشاعر الحب التي يحملها لها.. وهز رأسه بالموافقة قبل أن يسألها.
- وخالي؟!
- اترك خالك وأنا سأقنعه.. فهو لا يريد سوى مصلحتكم!!
وأغلقت الباب وراءها بهدوء.. وكأنها فتحت لعبادي أفاقا من الحلم يسبح من خلالها في عالم من الموسيقى والغناء.. شعرت وكأن الدنيا أصبحت لا تتسع لفرحته ولاتستطيع أن تضم ابتهاجه هل حقا سيصبح فنانا.. وسيسجل اسطوانات.. إنه لا يريد الفن من أجل الشهرة ولكنه يريد أن يشاهد الجميع حجم الموهبة التي يشعر بها في أعماقه. وهاهي أمه الحبيبة تفتح له الطريق ليحقق الحلم الذي يتمناه ويشعر بأنه يعيشه منذ الآن.



وتعددت التجارب التي مرت على عبادي خلال هذه الفترة واستفاد منها الكثير الذي ساعده في حياته الفنية اللاحقة... ومن أهم ما ترسخ في ذهن الفتى الشاب حول الفن هو أن الموهبة وحدها لاتكفي في هذا الوسط الذي تتداخل فيه عوامل فنية وغير فنية كثيرة.

وفجأة قرر لطفي أن تسجيل اغنيات عبادي سيتم في بيروت وليس في جدة ومع فرقة كاملة وليس مع العود والإيقاع فقط.

الدوّامة

البداية الحقيقية

لم يكن في العقد ما يستحق التدقيق فقد كان عقدا عاديا لاحتكار قدرات عبادي لمدة (٣) سنوات ووقعه عبدالرحمن نيابة عن عبادي.

وبدأت مرحلة جديدة من حياة عبادي الجوهر.. مرحلة مهمة كأول خطوة لاثبات كيانه الفني في دوامة هذا الوسط كشخصية فنية مستقلة.

وبدا لطفي زيني في تكثيف عملية ظهور عبادي في الأفراح والمناسبات العامة، تمهيدا لاطلاقه كمطرب جديد يساهم في إثراء الحركة الفنية ورياض فون.

وأبدى عبادي استعدادا جيدا للانخراط في الوسط الفني من خلال تردده شبه الدائم مع لطفي زيني إلى مكتب شركة رياض فون والتقاءه بطلال مداح.

وأخذت مداركه الفنية تتوسع أكثر من خلال استماعه لأشياء جديدة في الوسط غير التي يسمح بنزولها إلى الأسواق.

وأحبه طلال جدا ورأى في هذا الشاب الكثير من النضج والنبوغ الموسيقي فقدم له كل ما لديه من خبرة ولم يبخل عليه بشيء.. وأخذ لطفي يعطي عبادي الفرصة تلو الأخرى ليزداد احتكاكه بهذا الوسط وبالتالي يزداد خبرة وعمقا قبل أن يبدأ مشواره الفني.

وأصبحت جولات لطفي زيني مع عبادي في كل ليلة خميس عملا اعتياديا للثنائي حيث كانا يمشطان أحياء مدينة جدة شمالا وجنوبا بحثا عن الأفراح حتى يتسنى لعبادي المشاركة فيها ويبدأ اسمه

بالتوهج فقد كانت هذه الوسيلة هي أقوى الطرق لانتشار الفنان الصغير الذي لا يملك أغنية خاصة به حتى ذلك الوقت.

وفي تلك الأيام كان لشخصية لطفي زيني الفنية كممثل متربع على شاشة التلفزيون المحلي، ولوجهه المألوف كنجم، تأثير السحر في أي مكان يذهبان إليه.. فقد كان لحضور لطفي لأحد الأفراح والمناسبات تميزا مهما في لفت الأنظار إليه.. وهو الأمر الذي كان لطفي زيني يعرفه جيدا ويستغله بامتياز.

كان لطفي صاحب الذكاء المتقد ومازال، يؤمن بأن نجاح أي عمل فني يعتمد في الدرجة الأولى على سلامة الكلمة ومدى ارتباطها بتراث الأرض وعلاقتها بالمجتمع مع وجود الايقاع البسيط الذي يمكن أن يلتصق بالآذان بسرعة وكأنك تستمع إليه طوال حياتك.

يقول لطفي زيني: «أحمد الله على أنه أعطاني أذنا تستطيع التمييز بين ما يمكن أن ينجح في عالم الأغنية وما لايمكن.. وأنا أعتقد أن الاتجاه السائد نحو الغرابة في الأغنية لا يمكن له أن يستمر طويلا وستظل السيطرة للكلمة الشعبية البسيطة السهلة إذا ما توافقت مع لحن مميز سهل يجعل المستمع يحس بأنه يمكن له شخصيا أن يصنع مثلها... وهذا في رأيي مقياس نجاح الأغنية».

لطفي الذي كان يؤمن بذلك تماما كان يحاول في تلك الأيام تقديم أغنيات فلكلورية قديمة يتم من خلالها إعادة صياغة الكلمة لتواكب العصر وبلورة اللحن بشكل يتماشى مع الوقت.

وأصر لطفي على أن أفضل وسيلة لتقديم عبادي كانت في طريق لحن فلكلوري قوي وكلمات سهلة وسلسة.. وبدا هو في البحث عن الكلمة التي يمكن أن تحقق له المعادلة التي يبحث عنها بعد أن

وافق طلال على أن يكـون صاحب أول لحن لعبادي الجوهر وهو الموضوع الذي كان ينظر إليه لطفي بنظرة خاصة فوجود اسم طلال على الاسطوانة سيعطي الأسطوانة وعبادي دفعة مادية ومعنوية كبيرة.

وشاءت الأقدار أن تسير الأمور كما خطط لها لطفي.. فقد تذكر ذلك الفلكلور القديم الذي كانوا يرددونه وهم صغار ويعجبوا بنغمته جدا والذي يقول:

يا غزال شيبة .. فوق رأس الجبال شيبه

وقـرر لطفي أن يتمسك بهذا الفلكلور وأن يعيد كتابته بشكل جديد وعرض الفكرة على طلال الذي وافق في الحال على تطوير الفكرة اللحنية التراثية.

وفعـلا بدا لطفي زيني في صيـاغـة الكلمة الغنائية حول ذلك الفلكلور مع الاحتفاظ بمطلعه كما هو حيث كتب:

ياغزال ياغزال فينـــه
اللي سافر يا غزال فينـــه.
ياغزال خبرني وطمني أخباره ايه
قلبي وعيوني وأفكاري سألوني عليه.
ما وصل منه سلام ياغزال والله حرام.

وانتهى لطفى من كتابة الأغنية ودفعها لطلال مداح مع نص آخر له تحت عنوان «ياحلاوة» يقول مطلعه:

ياحلاوة يا حبيبي يحـق لـك
تـؤمر وتنهـي مين يقدر يسألك..

ولطفي الذي يعرف طلال أكثر من أي شخص آخر أكد على طلال بضـرورة الإسراع والانتهاء حتى يستطيعوا التسجيل فور انتهاء عبادي من امتحانات الكفاءة بعد أقل من شهر.

في تلك الأثناء كان عبادي قد أهمل دراسته فعلا ولم يعد يشعر بشيء سوى الفن وعلى الرغم من الوعـد الذي قطعه لأمه ولكنه ولأول مرة في حياته يشعر بأنه لن يستطيع أن يفي بوعده معها.

فقد كان الوقت الذي يتبقى له من جولته شبه اليومية مع لطفي يقضي عبادي في المنزل مع عوده يمارس ذلك الإبداع الذي أعطاه كل تفكيره.

ورغم اقتنـاعه الكامل بأنه لن يستطيع أن يوفق بين الدراسة ورغبات أمه من جهة وبين الفن من جهة أخرى إلا أن عبادي لم يكن يجرؤا على مواجهة أمه بتلك الحقيقة التي تفهمتها هي قبل أن ينطق بها عبادي وبشكل لم يكن هو ليدركه في ذلك السن.

ورغم اقتناعها بأن ابنها مجاله الحقيقي في عالم الفن إلا أنها أصرت على أن يقدم امتحان الكفاءة الذي كان على الأبواب ومنعته من الخروج في سهرات يومية فيما عدا ليلة الجمعة من كل أسبوع.

وعلى الرغم من محاولات لطفي إلا أن السيدة خديجة تمسكت بموقفها وبكل حزم.. ولكن الواقع يؤكد أن عبادي لم يستفد من ذلك الوقت في المنزل في شيء سوى تطوير أسلوب عزفه المميز.

ومع مساء يوم الخميس انطلقت سيارة لطفي إلى مكة المكرمة وهي تضم عبدالرحمن جوهر وأخيه عبادي بعد أن نسق مع الفنان جميل محمود.. وكان هذا اللقاء هو الأول لعبادي مع فنانين من مكة المكـرمـة فالتقى بجميـل محمـود والشـاعر عبدالرحمن حجازي وإبراهيم خفاجي والتقى أيضا بعبدالله محمد.

واقتنع جميل محمود بعبادي بشكل مميز حتى أنه وعد أن يضع له عددا من الألحان وليس واحدا كما كان متفق عليه.. وتحمس عبدالرحمن حجازي وكتب أحد النصوص في نفس اللحظة.

ووفي جميل محمود بوعده ففي غضون أيام قليلة كان قد انتهى من تلحين ثلاث أغنيات من كلمات عبدالرحمن حجازي بالاضافة إلى نشيد وطني عن الملك فيصل رحمه الله.

وكانت أعمال جميل محمود هي التي رافقت تسجيل أغنية ياغزال وياحلاوة حيث كانت هذه الأغاني هي:

(اللي مو عالبال).
و (خايف منك)
و (بطرفة الأحور).

وللحقيقة فإن عبادي في تلك الأيام لم يكن له تأثير مباشرة في نوعية مايغنيه من الكلمات والحان فقد كان لطفي زيني ذو الحس الفني المرهف يتابع هذه الأمور بكل دقة ويحاول أن يرسم لعبادي خطا جديـدا في الغـنـاء بعيـدا عن لون طلال مداح أو طارق عبدالحكيم أو محمد عبده.

ويقول لطفي الزيني: عن ذلك الموضوع «أنا لا أعتقد أن فنانا يستطيع أن ينافس آخر لمجرد الرغبة في ذلك.. فالتنافس يكون في الأعمال ومدى تقبل الناس لها.. ولكن الفنان الذي يريد أن ينجح يجب عليـه أن يخطط لنفسه أو أن يخطط له من يثق فيهم حتى يستطيع أن يرسم لنفسه لونا يميزه عمن يعاصروه من الفنانين.

لذا فقد كانت الفكرة هي أن نجد لعبادي لونا مميزا عن غيره حتى يستطيع الاستمرار والعطاء ويجد القبول في الوسط الفني.. وأعتقد الآن بعد أكثر من ربع قرن أننا لم نخطىء أبدا في ذلك..».

أسباب مهمة

ومن البديهي القول في أن حماس لطفي زيني في إيجاد خط مميز لعبادي لم يكن حبا في الأخير فقط فقد كان من خلال ذلك يعمل على بلوغ هدفين مهمين بالنسبة له الأول: كان شخصيا يتمثل في إيجاد لون جديد في فنان ناشيء يستطيع من خلاله أن يثبت أنه أيضـا قادر على إيجاد نجم في الأغنية السعودية كما حدث مع المجموعة التي تركت طلال «عمر كدرس واحمد صادق» واستطاعت المساعدة في إبراز فنان جديد للساحة ممثلا في محمد عبده الذي يحاول لطفي منافسته من خلال عبادي.

السبب الآخر : كان ماديا وهو أن أي نجاح لعبادي سوف يكون مردوده جيدا بالنسبة للوسط الفني بشكل عام ولشركة رياض فون بشكل خاص وهو الأمر الذي يهم لطفي جدا.

ومن كل النواحي فإن عبادي لم يكن خاسرا شيئا من الناحية العملية والنظرية فهو لم يشارك مباشرة في اللعبة ولكنه كان الحجر الناجح على الشطرنج الذي يلعب به لطفي بكل حذر.. عبادي بكل تأكيد لم يكن يفكر بأكثر من فرصة جيدة تضمن له الانطلاق وتعرف الناس بفنه ولا يهم الحسابات المعقدة التي لم يكن يحيط بها علما.

وتعـددت التجـارب التي مرت على عبـادي خلال هذه الفتـرة واستفاد منها الكثير الذي ساعده في حياته الفنية اللاحقة.. ومن أهم ما ترسـخ في ذهن الفتى الشاب حول الفن هو أن الموهبة وحدها لا تكفي في هذا الوسط الذي تتداخل فيه عوامل فنية وغير فنية كثيرة.

وفجأة قرر لطفي أن تسجيل أغنيات عبادي سيتم في بيروت وليس في جدة ومع فرقة كامة وليس مع العود والإيقاع فقط.

الأسباب التي أبداها لطفي لذلك كانت مقنعة، فهو إلى حد كبير يراهن على مقدرة هذا الشاب، ولذا فهو لا يريده أن يظهر إلا بالشكل الذي يستحق معه أن يلعب الدور الكبير الذي يخططه له.

ولكن المشكلة كانت في إقناع والدة عبادي بالسماح له بالسفر إلى بيروت وتسجل اسطوانات.. ورغم تخوفه من الإجابة فقد كان لطفي مقتنعا بها جدا عندما سمعها توافق على ذلك شرط أن ينتهي عبادي من امتحانات الكفاءة وأن يرافقه عبدالرحمن في الرحلة.. ووافق لطفي على أن تتكفل الشركة بنفقات عبدالرحمن أيضا.. وبدا أن الأمور تسير كلها في المسار المخطط لها..

في حقيقة الأمر لم يكن عبادي مقتنعا كليا بضرورة استمراره في الدراسة فهو لا يرى نفسه في شيء غير الفن.. ولكنه لا يقوى على كلمة «لا» لأمه.. ومرت الأيام على عبادي وهو يحلم ببيروت بدلا من أن يسترجع مواده التي هجرها منذ زمن.

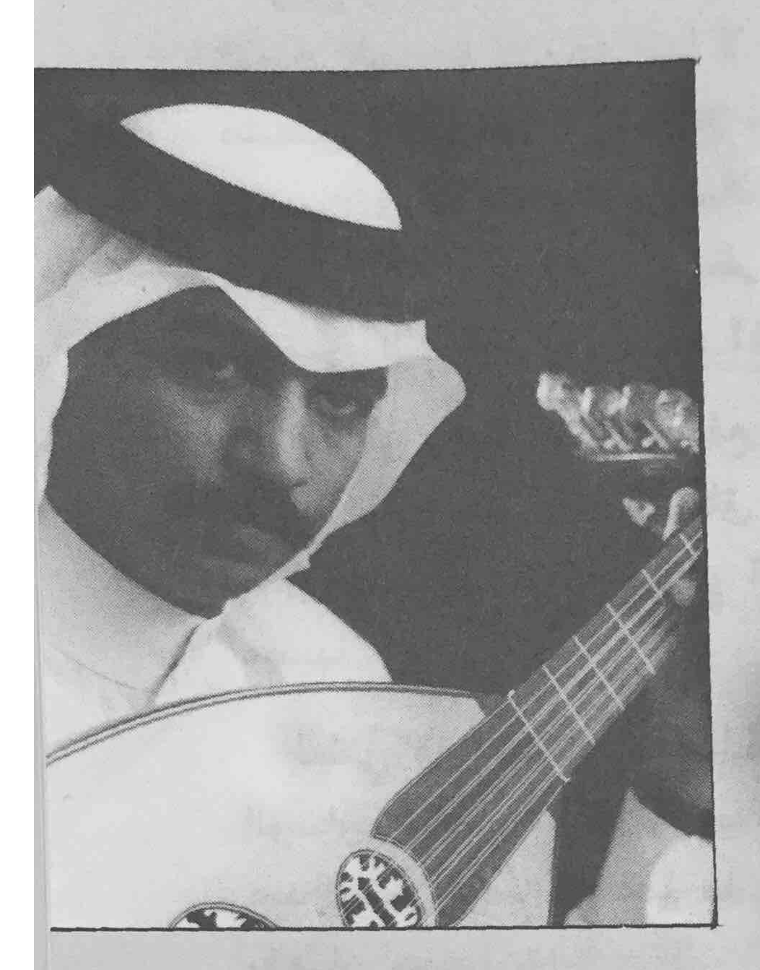
ولم تفرق كثيرا الأمور مع عبادي عند حلول أيام الامتحانات فقد كان يحس أن الامتحانات هي فرصة لتذكيره بموعد سفره للفن وليس لعام دراسي جديد..

وتقدم عبادي للامتحان الذي كان مثل شبح حبيب بالنسبة له فهو لم يعد يهتم به أو بنتيجته بمقدار ما كان يهتم بموعد السفر إلى بيروت.

ولم تكن نتائج تلك المرحلة من الدراسة تعلن قبل (٢٠) يوما على الأقل من تاريخ انتهاء الامتحانات.. والتي مع نهايتها ظهر لطفي من جديد ليصطحب عبادي إلى عدد من الأفراح والمناسبات استعدادا

للسفر بعد أسبوع من انتهاء الامتحانات.. وأصر لطفي على عبادي أن يحضر تسجيل إحدى أعمال الفنان طلال مداح في نفس المنزل الذي التقى به من قبل في طريق مكة.

وحضر عبادي التسجيل لأغنية «اليل ما يحلا» من كلمات الشاعر الراحل أحمد قنديل وشاهد عبادي مقدار الاهتمام الذي يعطيه طلال للمايكروفون وأسلوب التعامل معه.. وحضر هذا التسجيل في منزل طلال مداح كل من عبادي الجوهر ولطفي زيني وبدر كريم وطاهر زمخشري.. وكان هذا قبل السفر إلى بيروت بيومين.



وعاد من بيروت محمّلًا بالأشواق لـ «ست الحبايب» كما يحلو له أن يناديها، وكان يعلم في قرارة نفسه أن أمّه كانت تعدُّ الأيام بكل حرص، منتظرة عودتها..

واستقبلتـه أمه بابتسامة كبيرة جعلت عبّادي يحس بأنـه تعدّى مرحلة الطفولة وأنه أصبح رجلًا في نظر أمّه..

والقى عبادي براسه على صدْر امـه بكل حنان يحاول أن يعوِّض تلك الأيام التي قضاها بعيداً عنها..

السفر

السفر

ومع إقلاع الطائرة من مطار جدة الدولي في صيف عام ١٩٦٨م شعرت السيدة خديجة أنها لا تستطيع أن تكبح دمعها من الانحدار «شعـور غريب من الفـراغ بدأ يدب في أوصالها.. لماذا تركتهم يذهبون؟! أو على الأقل لماذا لم تذهب معهم؟!.. أخذت الأسئلة تنهش في قلبهـا وهي تنـظر في السماء علها تشاهد ذلك الطائر الفضي الكبير الذي يضم أغلى ما لديها.

في أول ليلة لم تستـطع النوم حاولت بكل جهدها أن تغمض عينيها وأن تستسلم للإرهاق الذي تحسه بدون فائدة.. فقد كانت صورة عبدالرحمن وعبادي تأبى أن تترك السيدة الطيبة تغمض عينيها.

لطفي قال أنهم قد يتـأخرون أكثر من أسبوع.. لماذا؟ بدأت الوساوس تلعب بذهن السيدة خديجة فعلى حد تعبيرها الدائم أن عبدالرحمن وعبادي هما ما خرجت به من دنياها.. فكيف تركتهما يذهبان وحيدان؟!

وعندما مر على الزيارة أكثر من عشرة أيام لم تستطع أن تصبر أكثر من ذلك وأصرت على أخيها حسن أن يذهب إلى مكتب الشركة في جدة ويسأل عن ابنيها.

في بيروت

كانت بيروت هي المحطة الأولى التي يضع عبادي قدميه عليها خارج حدود المملكة العربية السعودية.. بالنسبة له كانت بيروت مجتمع جديد وأسلوب حياة آخر لم يتعوده.. وللتاريخ فبيروت لم تكن

فقط درة الشرق ولكنها كانت المنبر الفني والثقافي المشع بعد أن توارت القاهرة لسنوات.. فكانت بيروت هي فعلا جوهرة الشرق التي لا تنافس أبدا.

وكان لبنان يعيش شتاءاً باردا في شهر ذي الحجة حين وصلها فناننا الصغير في عام ١٩٦٨م برفقة لطفي.. ولم يكن لبنان مجتمعا غريبا فقط بالنسبة لعبادي ولكنه كان مجتمعا مذهلا من حيث سرعة الحياة ونبضها الذي لا يقف.

وقام لطفي بحجز الاستديو والفرقة الموسيقية المشهورة في تلك الأيام والتي كان يقودها جورج ثابت... وأكد لطفي كل شيء بكل حرص.

وقبل التسجيل بيوم حدث ما لم يكن في الحسبان.. فقد أثر الجو البارد على عبادي فأصيب بالرشح وهو الأمر الذي لم يعد له لطفي العدة.. ولم يكن عبادي قادرا حتى على الكلام فما بالكم بالغناء؟.. واحتار لطفي ولم يجد وسيلة سوى اللجوء إلى أحد الأطباء لمساعدة عبادي فلم يبق على موعد التسجيل سوى ساعات قليلة... ووصف الطبيب قطرة خاصة بالأنف يمكن لها أن تفتح المسامات والتجاويف الأنفية قليلا.

واضطر عبادي للتسجيل رغم كل الظروف.. ولم تؤد القطرة دورها بالكامل فقد كان التسجيل ومازال يظهر صوت عبادي بطريقة عجيبة أعطته بعض الليونة وزادت من صغر سنه في رأي من يستمع إليه.
وسجل عبادي في ذلك اليوم كل أغنياته التي قدم من أجلها وكلها حملت نفس التأثير الذي سببه الزكام على صوته.

وهكذا قدر لهذا الفنان أن يظهر صوته في أولى محاولاته بشكل

غير طبيعي.. وخرج عبادي من الأستديو بعد التسجيل ليشعر بيد تربت فوق كتفه بكل حنان وود وعندما التفت عبادي نحو ذلك الرجل لم يكن سوى الفنان غازي علي الذي استمع إليه أثناء التسجيل.. وبادر عبادي لمصافحة هذا الفنان الكبير الذي شد على يديه بكل تشجيع وحرارة وهنأه على نجاحه وتوطدت الصداقة بينهما منذ تلك اللحظة وسجل عبادي في تلك الرحلة الأغنيات التالية:

[ياغزال] من كلمات «لطفي زيني» وألحان «طلال مداح».
[يا حلاوة] من كلمات «لطفي زيني» وألحان «طلال مداح».
[اللي مو عالبال] من كلمات «عبدالرحمن حجازي» وألحان «جميل محمود»
[خايف منك] من كلمات «عبدالرحمن حجازي» وألحان «جميل محمود»
[بطرفه الأحور] من كلمات «عبدالرحمن حجازي» وألحان «جميل محمود».
[نشيد عن الملك فيصل] من كلمات « عبدالرحمن حجازي» ألحان «جميل محمود».

وقبل أن يعود عبادي إلى أرض الوطن وصل الفنان طلال مداح إلى بيروت حيث توطدت أواصر الصداقة بين الاثنين ورأى فيه طلال الحماس والحب للفن بشكل منقطع النظير.. وسجل طلال في تلك الرحلة أغاني أسمع حياتي وحاكم و مستضعف..

العودة

وعاد عبادي من بيروت محملا بالأشواق لـ «ست الحبايب» كما يحلو له أن يناديها، وكان يعلم في قرارة نفسه أن أمه كانت تعدُ الأيام بكل حرص، منتظرة عودتهما..

واستقبلته أمه بابتسامة كبيرة جعلت عبادي يحس بأنه تعدى مرحلة الطفولة وأنه أصبح رجلاً في نظر أمه..

وألقى عبادي برأسه على صدر أمه بكل حنان يحاول أن يعوض تلك الأيام التي قضاها بعيدا عنها..

وكانت تلك الليلة هي ليلة السهر فقد سهرت الأم وابناها حتى الصباح في حديث متواصل عن الرحلة ونتائجها..

ونسى عبادي أوتناسى حتى اليوم أن يسأل عن نتيجة امتحان المرحلة المتوسطة التي أصرت أمه على أن يكملها أولاً...

أيام في الانتظار

وعاش عبادي أياماً في انتظار وصول لطفي بالاسطوانات.. فقد كان مشتاقا لأن يسمع أعماله الجديدة خصوصا الأغنية التي كان يشعر بأنها ستحقق له القبول بشكل جيد لدى الناس وهي أغنية «يا حلاوة»..

وفعلا وبعد بضعة أيام وصلت الأسطوانات، وحصل عبادي على بعض النسخ منها وأصر على أن تكون والدته أول من يستمع إليها..

وجلست السيدة الطيبة أمام ابنها الصغير وهو يضع الأسطوانة بكل حرص ثم يضع إبرة «البيك أب» بكل دقة..

وانطلق صوت عبادي مع أغنية ياغزال وأخذت الأم تتذكر ذلك النشيد الطفولي الذي كانت تشارك في أحياءه في ليالي رمضان عندما كانت طفلة.. وبدأت تردد المقاطع مع الأغنية..

ومع نهاية الوجه الأول الذي ضم «ياغزال» كانت ابتسامة الرضا ترتسم على شفتيها بكل هدوء..

ووضع عبادي الوجه الآخر للاسطوانة وانطلقت أغنية «ياحلاوة» التي كان عبادي يؤمل من ورائها الكثير من النجاح.. واستمعت الأم بكل دقة وحرص حتى نهاية الأغنية..

ووقف عبادي أمام أمه بكل فخر يسألها عن رأيها فيما سمعت..

ـ أعتقد أن أغنية ياغزال ستجد نجاحاً أكثر من الأغنية الأخرى..

ـ ولكن الأغنية الأخرى هي الأغنية الجميلة القوية والجديدة في فكرتها وأنا أعتقد أنها ستنجح..

ـ الله أعلم .. ولكن الناس ستعجبهم ياغزال أكثر.

ولم يكن عبادي يملك اي إجابة فقد صمت وابدى إصراره على الغناء..

ولكن المنظّمون كانوا قد عرضوا الأمر على الأمير عبدالله الذي وافق على السماح لعبادي بالغناء بعد فقرة محمد عبده وكما توقع لطفي بالضبط.

وانتظر لطفى وانتظر عبادي حتى انتهى محمد عبده من اغنياته وغادر المسرح وقبل ان تلَمْلِم الفرقة الموسيقية أدواتها كان عبادي على ظَهْر المسرح يطلب منهم مرافقته باغنية «أنا عارف» لمحمد عبده..



القمّة

القمة

كان عبادي يتوقع أن تنتشر اسطواناته بشكل كبير.. ولكن ما حدث كان غريبا بالنسبة له وعاديا بالنسبة للوسط الفني وللطفي زيني.. فقد كان التوزيع بسيطا لم يتعدى الألفي أسطوانة.. وظل عبادي أياما يتساءل لماذا لم يعجب الناس بأغنية «يا حلاوة» وهي الأغنيـة التي يبني عليها آمالاً كبيرة في الصعود نحو قمة الهرم الفني وظلت الأسطوانات المتبقية في مستودعات رياض فون فترة من الزمن ومر قدوم عبادي إلى الساحة بهدوء عادي جداً..

ولكني لطفي زيني الرجـل الذي لا يعـرف اليـأس ولا يعـرف الاستسلام كان يؤمل الكثير من وراء عبادي لذا لم يكن مستعجلا أبداً على قطف الثمار.. وبدأ من جديد محاولته لإعادة تقديم عبادي إلى الجمهور.

وبدأت رحلات الأفراح اليومية من جديد.. يمر لطفي على عبادي وتبدأ الجولة المسائية على أفراح مدينة جدة..

أهلاوي

عام ١٩٦٨م هو العام الذي حقق فيه النادي الأهلي من جدة كأس الملك لكرة القدم واستعد النادي لاقامة احتفال كبير بمقره بهذه المناسبة.. وكان نجم الحفل فنان النادي الكبير محمد عبده..

وفي نفس اليوم الذي قرر فيه النادي الأهلي إقامة حفلة الكبير خطرت للطفي زيني فكرة اشتراك طلال المفاجىء في ذلك الحفل..

وكالعادة لم يتردد لطفي في الذهاب إلى منزل طلال في طريق مكة ورافقه الفنان الصغير عبادي..

وعرض لطفي فكرته على طلال وأوضح له أن اشتراكه في مثل هذا الحفل سيكون تأكيداً للجميع على أنه الفنان الأول الذي يتفق عليه الناس.. وبعد دقائق من التفكير قال طلال:

- ولكني لم أُدع إلى هذا الحفل؟!

- لا يهم.. فأنت فنان لك وزنك ومكانتك، وظهورك في النادي الأهلي فجأة سيكون أهم أحداث الحفل وسيلفت الأنظار إليك بكل تأكيد..

- ولكن محمد عبده .. هو فنان الحفل.. وهو المدعو.. ومعروف بأهلاويته بينما يعرف الجميع أنني اتحادي بكل إخلاص.

- ستذوب كل هذه الشكليات مع ظهورك المفاجيء بكل تأكيد..

وفكر طلال قليلا قبل أن يقول:

- لن أشارك في الحفل.. حتى لا يفسر حضوري أنه رغبة في التعكير على محمد عبده.

وشعر لطفي بأنه خسر ورقة مهمة من أوراق خطته.. وكالعادة وجد لطفي زيني البديل حين نظر لعبادي الجوهر وقال:

- إذن يشترك عبادي في الحفل...

وعندها قال طلال : لو افترضنا وأنكما استطعتما الوصول إلى الحفلة فماذا سيغني عبادي.. فأغنياته لاتزال جديدة ولن تستطيع الفرقة أن تسايره بها..

- سأتدبر الأمر بنفسي .. قالها لطفي وهو يضع يده على صدره وقدم طلال مداح عوده لعبادي الجوهر ليعزف به فلم يعد من الوقت متسعا للعودة إلى منزل عبادي لاحضار عوده..

وغــادر لطفي وعبادي منزل طلال وفكره معينة تتوهج في ذهن لطفي زيني وقاد عبادي سيارة لطفي بكل هدوء وبطء حسب طلب لطفي.. حتى سأله لطفي: ماذا تغني الليلة؟!

ونــظر عبادي إلى لطفي بكل حيرة فهو الرجل الذي يعرف كل شيء عنه» فأجابه:

ـ ما أحفظه من أغنيات لطلال مداح.

هذا لن يفيدك في شيء.. ولكن .. هل تحفظ أغنية محمد عبده «أنا عارف»؟!

وأذهل السؤال عبادي ... وشعر بأن في الأمر خللا فلطفي زيني يريده أن يغني لمحمد عبده.. هل يعقل هذا؟!

ولاحظ لطفي الحيرة على وجه عبادي فأصر على سؤاله..

ـ هل تحفظ أغنية محمد عبده «أنا عارف»؟!

وعندها تأكد عبادي أن سمعه لم يخنه وأنه فعلا استمع إلى السؤال بكل جدية فقال: نعم..

ودون أن يجيب أو أن يوضح لعبادي شيئا أخذ لطفي زيني يترنم بالنغم المعـروف لذلك اللحن ويخط بعض الكلمات على ورقة بين يديه.. وعبادي صامت يقود السيارة باتجاه النادي الأهلي بكل بطء.

وقبل أن يصلوا إلى مقر الحفل كان لطفي زيني يصرخ فرحاً، وعبادي ينظر إليه بدهشة حتى شرح له بأنه قد ركب كلمات رياضية للنادي الأهلي على نفس لحن محمد عبده «أنا عارف»..

وتحولت أغنية محمد عبده التي تقول:

أنا عارف .. أنا عارف .. إنك غدار غدار
ولا تخفي علي الأسرار

وتحولت تلك الكلمات بفضل ذكاء وشاعرية لطفي زيني إلى :

أهلاوي .. أهلاوي .. أنا والله اهلاوي

وأبوي وجدي .. أهلاوي

جو الملعب .. نلعب نكسب وفننا يغلب.. اهلاوي

ولم يكن هناك وقت كاف ليحفظ عبادي الكلمات الجديدة.. فاضطر لطفي إلى تثبيتها إلى ظهر العود حتى يستطيع عبادي قراءتها أثناء الغناء إذا تمكنا من الوصول إلى المسرح..

وعند مدخل النادي الأهلي وكما توقع لطفي لم يسمح لهما بالدخول.. لأن لطفي كان شخصية معروفة جداً ومعروف عنه بأنه مشجع لنادي الاتحاد الفريق المنافس الدائم للنادي الأهلي.

واصر المنظمون على عدم السماح لهما بالدخول واصر لطفي على أن يشارك عبادي بأغنيته عن الأهلي لأنه شاب موهوب وأهلاوي أيضاً.. ولم تكن هناك فرصة للتردد فإصرار لطفي على الدخول جعل المنظمون يشكون في نوايا لطفي.. وأمام ذلك الإصرار الذي أبداه لطفي لم يكن أمام المنظمون وسيلة سوى عرض الأمر على رئيس النادي الأهلي في ذلك الحين الأمير عبدالله الفيصل.. وانتظر لطفي وانتظر عبادي.

وبكل هدوء التفت لطفي إلى عبادي وقال له.. إذا وصل الأمر فعلا للأمير عبدالله الفيصل فسوف يأخذ بيدك ويدعك تغني.. أما إذا كان هؤلاء الجماعة قالوا ذلك ليصرفونا عن الغناء، وتحت إصرارنا فسوف نضرب أنا وأنت فما رأيك؟! ففي الحالتين نشتهر».

ولم يكن عبادي يملك أي إجابة فقد صمت وأبدى إصراره على الغناء.

ولكن المنظمون كانوا قد عرضوا الأمر على الأمير عبدالله الذي وافق على السماح لعبادي بالغناء بعد فقرة محمد عبده وكما توقع لطفي بالضبط.

وانتظر لطفي وانتظر عبادي حتى انتهى محمد عبده من أغنياته وغادر المسرح وقبل أن تلملم الفرقة الموسيقية أدواتها كان عبادي على ظهر المسرح يطلب منهم مرافقته بأغنية «أنا عارف» لمحمد عبده..

ومع المقطع الأول من الأغنية التي يشيد بالنادي الأهلي بدأت الجماهير تزحف مرة أخرى بعد أن كانت قد غادرت مع انتهاء فقرة محمد عبده.. وبدأت حناجر الجمهور كلها تردد «أهلاوي .. أهلاوي»..

ولم تكن الجماهير الوحيدة التي شدها عبادي فقد كانت الفرقة الموسيقية نفسها مبهورة بالفكرة الجديدة على الغناء السعودي وهي الغناء للأندية الرياضية..

وعن هذه الليلة يتذكر عبادي: «في الحقيقة لم يكن في ذهني المشاركة في هذا الحفل أصلاً ولكن الصدف لعبت دوراً مهما في ذلك.. فقد كان لطفي يخطط لاشتراك طلال مداح في الحفل ورافقته من باب الاستماع والاستفادة.. ولكن طلال رفض الاشتراك في الحفل على أساس أنه لم يدع للحفل أولا وثانيا لم يكن يود أن تفسر مشاركته وكأنها حرص على منافسة محمد عبده.. وعندها اقترح لطفي أن أشارك في الحفل ولم يعترض طلال ولكنه لم يكن واثق من أنه سيسمح لنا بالغناء في تلك المناسبة خصوصا وأن لطفي زيني كان مشهوراً باتحاديته.. وسيسفسر حضوره على أنه محاولة لافساد الحفل الأهلاوي.. وأعطاني طلال عوده..ولأول مرة

يطلب مني لطفي زيني أن أقود سيارته بينما جلس هو في المقعد الأمامي صامتا يفكر حتى سألني عن مدى حفظي للحن أغنية «أنا عارف» وبعدها بدأ في الكتابة بصمت لا يقطعه إلا محاولة لطفي لدندنة اللحن لمتابعة الإيقاع وقبل أن نصل إلى النادي الأهلي بقليل كان لطفي زيني يقرأ لي النص كاملا..».

وتحت إصرار الجماهير الأهلاوية اضطر عبادي لاعادة الأغنية أكثر من مرة والجماهير تهتف معه «أهلاوي»..

ومع انتهاء الأغنية بدأ عبادي بغناء بعض أغاني طلال مداح التي تحفظها الفرقة جيداً.. وغادر النادي الأهلي وسط هتافات الحضور وطلباتهم له بالمواصلة والاستمرار..

ومن النادي الأهلي إلى منزل طلال مداح مباشرة.. واستمع طلال مداح إلى القصة كما حدثت وعلى لسان لطفي.. وعندها قال طلال لعبادي «لقد وقعت على كشوفات الشهرة هذه الليلة».

وفي اليوم التالي تلقى عبادي بطاقة دعوة للقاء الأمير عبدالله الفيصل في قصره» حيث قابله الأمير وشجعه كثيراً وأعطاه ساعة يدوية قيمة كهدية شخصية منه..

وكانت أول هدية يتلقاها عبادي الجوهر من الفن..

ويتذكر عبادي تلك المناسبة فيقول:

«عندما تلقيت الدعوة لزيارة الأمير عبدالله الفيصل لم أكن أصدق ذلك كثيراً.. وكنت أعتقد أنها نوع من المزاح.. وعندما تأكدت لم أكن أعرف كيف اتصرف أو ماذا أقول.. ولكن وهذه من عظمة هذا الرجل منذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها اشعرني بأني أجلس في مجلس إنسان كبير في كل شيء وتلاشت الرهبة من قلبي تماما وأحسست بحنان الأبوة الصادقة والحب الكبير الذي يعمر به قلب

الأمير عبدالله الفيصل.. وفعلا شجعني بكل الود وأظهر إعجابه بما سمع وقدم لي الكثير من النصائح القيمة التي كان لها الأثر الكبير في مسيرتي ومنذ ذلك الوقت.. ولا أنسى أن أشير إلى أن أول هدية تلقيتها في المجال الفني كانت من الأمير عبدالله وهي عبارة عن ساعة يد قيمة جداً..

عبادي من صوت العرب

ومن ضمن أعمال لطفي زيني كان من المقرر أن يذهب إلى القاهرة لاتمام بعض المشاهد التي كان يقوم بتمثيلها مع رفيق دربه الفنان حسن دردير .. واصطحب لطفي معه عدداً من الاسطوانات لطلال مداح وأغنية ياغزال لعبادي الجوهر معه كإهداء لاذاعة صوت العرب في القاهرة.

وبعد أيام قليلة من تقديم الهدية كان صوت عبادي ينطلق ولأول مرة عبر الأثير من خلال إذاعة صوت العرب بالقاهرة بفضل جهود لطفي زيني..

وبدأت الأغنية تنتشر قليلا .. قليلا كما توقع لطفي وعلى الرغم من ثقة عبادي من أن أغنية ياحلاوة التي ضمتها الجهة الأخرى للاسطوانة هي الأفضل والأقوى فنيا..

الحب المؤقت

ومن القاهرة وعن طريق جدة توجه لطفي زيني إلى الرياض لمتابعة التوزيع هناك والتقى بالشاعر والفنان الشعبي حجاب بن نحيت الذي قدم له نصاً غنائيا لايصاله للفنان طلال مداح الذي كان يعد لتسجيل جلسة خاصة على الأسطوانات ولحن طلال

الكلمات واستعد لغنائها.. ولكن لطفي زيني أصر عليه أن يتنازل عنها لعبادي حتى يغنيها في اسطوانة جديدة.. ولم يتردد الفنان الكبير لحظات في ذلك وقدمها لعبادي فكانت من نصيبه وظهرت على اسطوانة خاصة.. تقول مقدمة الأغنية:

تطورتـوا مع الدنـيـا جرفـكـم جاري التـيـار
وانـهـيـتـم علاقـتـكـم فلا زيـادة ولا اسـتـفـسـار
ولا حتى تراعـونـا بنـظـرة بعدما حسبت إني من حمام الدار
عرفنا ياراعي الحب المؤقت نفـسـك ترقـت .. ترقـت
وحـل محـل ذاك الحـب اصـفـار أصـفـار...

ورافق عبادي أثناء تسجيل الأغنية على الإيقاع الفنان بدري بطيش وقدم الأسطوانة بأسلوبه الشعبي الفنان حسن دردير بقوله «مع المطرب الصاعد عبادي» وهندس التسجيل السيد عمر العطاس رجل الأعمال المعروف جداً حاليا..

مسرح التلفزيون

ظلت الأسطوانات التي سجلها عبادي تسجل تحسنا بسيطا في المبيعات حتى فكـر لطفي في ضرورة إعطاء عبادي دفعة قوية للتعرف على الجمهور.. ولم يكن هناك وسيلة إعلامية أقوى من التلفزيون.. وأصر لطفي على ضرورة اشتراك عبادي في مسرح التلفزيون ذلك العام.. وهو فرصة جيدة ليقدم عباي نفسه للناس في كل أنحاء المملكة كفنان قادم صاحب أسلوب جديد ونكهة جيدة.

وقدم لطفي طلبا لاشراك عبادي الجوهر في مسرح التلفزيون.. وظل الطلب مع اللجنة المشرفة على المسرح أياماً قبل أن يعيدوه

من جديد مشترطين دخول عبادي في التجربة الصوتية التي تعدها اللجنة لكل الهواة الجدد الطالبين الاشتراك في المسرح.. ولم ييأس لطفي ووافق على ذلك وقام بتسجيل عبادي في التجربة التي اقترحتها اللجنة.

لم يكن سن عبادي في تلك المرحلة يتجاوز الـ«١٥» عاماً بكثير والوقوف أمام الكاميرا، في ذلك السن لم يكن بالأمر الهين - وتقدم للتجربة حوالي «٢٠» فنانا هاويا..

وفي الليلة السابقة للتجربة كان عبادي يعيش لحظات مع القلق في محاولة جادة لحبس خوفه من التجربة ليس لعدم ثقة في نفسه ولكن لأنها المرة الأولى التي يقف فيها أمام كاميرات التلفزيون..

وفي صباح اليوم التالي كان لطفي زيني وعبادي أول المتواجدين في مقر الامتحان حيث قامت اللجنة بعمل تجربة صوتية وتصويرية لعبادي الذي اختار أغنية ياغزال لهذه التجربة..

وقررت اللجنة أن يكون الاختبار بطريقة «البلاي باك» وهي الطريقة التي تعتمد على إدارة الأسطوانة وتشغيلها بينما يقوم المطرب بتمثيل الغناء دون تسجيل صوته..

وقضى عبادي حوالي النصف ساعة في التجربة.. وطلب منه أن يعود في اليوم التالي ليشاهد النتيجة.

النتيجة

وفي اليوم التالي لم ينتظر عبادي حتى تيقظه والدته كما تعود دائما.. فالنوم لم يكن عائقا أمام أحلامه.. فانطلق مع أولى بشائر الصباح إلى مقر التلفزيون حتى قبل الدوام الرسمي للموظفين..

واضطر عبادي للانتظار على إحدى الكراسي المترامية على طول

الممر الفاصل بين الغرف.. ولم يكن انتظاره طويلا قبل أن يلتقي بالمذيعين اللامعين بدر كريم وعبدالرحمن يغمور اللذان كان أول من زفا البشرى لعبادي بأنه الوحيد الذي أجازته اللجنة للاشتراك في المسرح من ضمن العشرين متقدماً...

لم يكن الطريق بين مقر التلفزيون ومنزل عبادي طويلا عليه في العودة ولكنه كان يشعر بأن كل خطوة يقطعها تزيد من شوقه لنقل البشرى إلى والدته.. كانت أحلامه تسبقه وشغفه بالموسيقى يجعله يزيد من الخطوة ليصل إلى المنزل لينقل إلى «ست الحبايب» بأن ابنها الصغير سيكون نجما في مسرح التلفزيون القادم.. وأن ملايين من الناس سوف تشاهده يقدم بصوته أولى خطوات النجاح الذي يحلم به..

لم تكد السيدة خديجة تفتح الباب الذي ون تحت طرقات عبادي حتى ارتمى على صدرها والدموع تخنق الكلمات،، وهي تحضنه بكل الحب والفخر..

وتنظر خديجة إلى ابنها الذي حولته الفرحة إلى بحيرة من دموع وأخذت تربت على كتفيه وتحضنه.. وقد سحبها الموقف إلى المستقبل .. فهل يمكن أن يكون هذا المسرح الذي أبكى وليدها هو تذكرة الدخول إلى قلوب الناس..؟!

كانت واثقة من أن صغيرها لديه القدرة والموهبة اللازمة للانطلاق ولديه العشق للفن وهو الأمر الذي يولد الابداع .. ولكنها كانت تعرف أن الحياة تحتاج إلى كثير من الأشياء أكثر من القدرة والموهبة والعشق..

حاولت خديجة أن تمسح دمعة ارتسمت على وجهها ولكنها لم

تستطع أن تمنع ابنها من ملاحظاتها..

ومرت الأيام بطيئة على عبادي في انتظار البروفات للمسرح كان يشعر بأن كل يوم يحفر على جلده وشما من القلق.. وكان لطفي يؤكد له بأن أغنية «ياغزال» ستكون البوابة التي ينطلق منها عبادي للشهرة» بينما كان عبادي يفكر بأن الأغنية الأخرى التي سيشترك بها في المسرح ستكون ذات حظ أكبر.. وهي الأغنية الجديدة التي كتبها الأمير الشاعر خالد الفيصل ولحنها الفنان عمر كدرس وهي أغنية «طعم الهوى»..

لم يكن عبادي مخطئا في تفكيره وكذلك لم يكن لطفي زيني..

فعبادي كان ينظر من ناحية فنية بحتة تحكمها الجمل الموسيقية العريضة والأسلوب الجديد القوي الذي يدل على ثقافة موسيقية كبيرة مثل ما تمثله أغنية «ياحلاوة» التي كان عبادي يعلق عليها أمالاً كبيرة..

على الناحية الأخرى كان لطفي بحكم خبرته الطويلة واحتكاكه يعلم تماما أن نجاح الأغنية يعتمد على أشياء غير النظرة الفنية البحتة منها أن الأغنية يجب أن ترتبط بذاكرة المتلقى من خلال جملة شعبية مطورة وهو ما حرص عليه لطفي في معظم أغنياته التي كتبها إن لم يكن جميعها.

وبطبيعة الحال كانت خديجة تميل إلى رأي لطفي لأنه يشكل امتـدادا طبيعيا لمسيرة الأغنية وتفاعل الجمهور معها على ضوء الثقافة الفنية المتوفرة في ذلك الوقت.

ولم يكن عبادي راغبا في الدخول في مناقشات حول هذه النقطة معهم... لأنه كان متشبعا بفكرة الفن من أجل الفن وليس من أجل رغبات الناس.

كانت أيام

ومرت الأيام بتثاقل ممل على عبادي وهو ينتظر موعد تسجيل المسرح وكان القلق يستشري في أعصابه ويتغذى قليلا قليلا على أحـلامـه وظلت الأيـام تزرع أهـراما من الخوف في ذهنه، وظل التسـاؤل الأكبـر يتردد في عقله هل سيكون هذا المسرح نقطة انطلاقته أم أن الأقدار تخبىء له مفاجأة قد تبعده عن عشقه الأكبر.

وتعاظم ذلك الشعور مع اقتراب موعد المسرح حتى وصل ذروته في الليلة التي سبقت موعـد التسجيـل. حاول عبادي ليلتها أن يستسلم للنوم الذي خاصم جفنيه ولكن دون فائدة. فالمسافة بين عينيه والنوم أضحت أبعد ما يمكن.

وظل يحاول ويحاول أن يستعيد شيئا من الهدوء الذي يجتذب النوم.. وكل محاولاته تعود إليه بمزيد من القلق والأرق.

ظلت الأحلام تأخذ جزء من فكره وهو يتخيل نفسه وقد استطاع أن يكسر حاجز البعد بينه وبين الناس وتخيل نفسه وقد نجح في نقل أحاسيسه عبر موهبته من خلال صوته ووتره إلى الناس على الجانب الآخر من الأحلام كان الخوف ينمو ويشتد من أن تكون هذه الفرصة هي بداية النهاية بالنسبة له.

وعن تلك الليلة يتـذكر عبادي ويقول: «لم يكن في داخلي مجال لغير الصراع الكبير الدائر بين الأحلام والخوف، فقد كنت أعرف أن تلك الفرصة من أهم الفرص التي يمكن أن تمر على وأنها القادرة على تكوين شخصيتي الفنية وتقديمها للناس أو أن أبحث لنفسي عن طريق آخر غير الفن.

لم تكن تلك الحالة التي عانى منها عبادي بعيدة عن ملاحظة والدتـه، ولكنها فضلت أن تترك صغيرها يعاني حتى يشعر بقيمة المسئولية التي اختار أن يساهم في حملها. وعلى الرغم من الالم الذي كان يعصر أعماقها إلا أنها أصرت على أن تتركه ، يستفيد من القلق الذي ينتابه فيحوله إلى مزيد من الإصرار لتقديم افضل ما لديه ويشعر بصعوبة الطريق الذي اختار أن يسير فيه.

ولم يجـد عبادي ملجأ له بعد الله إلا ذلك الصدر الذي طالما حضنـه بالحب وحـول الحرمان إلى واحة من الحنان وبكل هدوء انسل عبادي إلى جوار أمه التي احتضنته بحنان خصب لينخرطا في حوار مليء بالقلق:

- لا استطيع النوم أو الهدوء..

- هل تفكر في شيء ما؟

- أمي أنت تعرفين جيدا فيما أفكر..

- دعني أسألك، هل أنت واثق من موهبتك ومن نفسك ومن قدرتك على العطاء؟..

- هذا ما يخيفني بالضبط.. فأنا واثق من أن بداخلي الكثير من العطاء الذي أود أن أقدمه للناس ولكن...

- اسمعني جيداً إذا كنت كما أعتقد فيك تملك الثقة بالنفس فسوف تظهر غداً على المسرح وتقدم الشيء الذي تعتقد أنك تملكه، فقط لا تحاول أن تكون شخصا آخر غير نفسك وبعد ذلك لايهم ما يحدث.

لم يكن عبـادي يحتـاج لغير تلك الكلمات ليستطيع أن يواجه طوفان القلق فقد صنعت تلك الكلمات - من المرأة التي كانت كل شيء في حيـاة عبـادي - العجب وحولت تلك الليلة إلى لحظات سعيدة من الانتظار.

المسرح

اكتظ مسرح الإذاعة والتلفزيون بالمدعوين الذين قدموا من شتى أنحاء البلاد لمشاهدة تسجيل البرنامج الجماهيري الأول في التلفزيون السعودي.. الذي يجمع بين قطبي الغناء في البلاد طلال مداح ومحمد عبده.

وبدأت الفرقة الموسيقية الحفل ببعض القطع الموسيقية التي كان عبادي يتابعها بكل اهتمام حتى يدخل نفسه في الجو العام للمسرح. وقدم المذيع المعروف عبدالرحمن يغمور الفنان الصغير عبادي الجوهر إلى الجمهور الذي استقبله بكل هدوء ومع بداية عزف عبادي على العود انطلق الجمهور مأخوذا بإبداع هذا الفنان الصغير في السن.

وكما توقع لطفي زيني ومع أول مطلع من أغنية ياغزال انطلق الجمهور خلف عبادي مرددا مطلع الأغنية وكأنه كورس مدرس على أدائها منذ مدة، ورغم التفاعل الجماهيري الهائل الذي وجده عبادي في وصلته الغنائية إلا أن القلق ظل مسيطرا عليه وأخذ العرق يتصبب من وجهه وظل أثناء معظم الأداء مغمضا عينيه ولم يلحظ ذلك إلا بعد أن شاهد البرنامج في منزله بعد ذلك بيومين.

وغنى عبادي وسط ذلك التفاعل الكبير الذي وجده من الحضور الذي أخذ يصفق بكل قوة مع انتهاء أغنية ياغزال.

وغنى عبادي بعدها أغنية الفنان عمر كدرس «طعم الهوى» وهي الأغنية التي كان يعتقد أنها ستحقق شيئا من النجاح ولكن وكما هو دائما يصعب أن تنجح أغنيتان لفنان واحد في حفلة واحدة ولذا حكم على أغنية طعم الهوى أن تموت ليلة ميلاد أغنية ياغزال.

وخلف الكواليس احتضن لطفي زيني عبادي الجوهر بكل الود وقال له:

- الليلة يمكن أن نقول أن أغنية ياغزال أوجدت فنانا جديدا على خارطة الأغنية السعودية.

في البيت

لم تكن خديجة بحاجة إلى من يخبرها بأن ابنها قد أجاد في فقرته وانه استطاع أن يتغلب على إحساسه بالخوف ليقدم واحدة من أجمل الأغنيات التي سجلها المسرح، فقد كانت واثقة من حجم الموهبة التي يتمتع بها ابنها ومن حجم العشق الذي يتحكم في تلك الموهبة.

ما بعد المسرح

وبعد عرض الأغنية في التلفزيون لاقت من النجاح الشيء الكثير الذي جعل من عبادي ما بين ليلة وضحاها الفنان الذي يتحدث عنه الجميع ويبحثون عن أسطواناته في كل مكان.

واضطر لطفي زيني تحت الإلحاح الكبير الذي أظهره الجمهور إلى إعادة طبع كميات جديدة من اسطوانة ياغزال.

وظلت الأغنية ولفترة طويلة مطلوبة أكثر من أي أغنية أخرى عبر برنامج الإذاعة الشهير «ما يطلبه المستمعون» وأخذ التلفزيون يكرر الأغنية بين الحين والآخر تلبية لرغبات الكثيرين الذين كتبوا يطلبون إعادة تقديم الأغنية.

وعلى الرغم من قوة الأغنية وجمالها إلا أن من الأشياء الثابتة التي ساعدت على انتشار الأغنية الأسلوب الجميل في الأداء بالإضافة للخوف البرىء الذي كان مرسوما على وجه عبادي أثناء الأداء.

أنا مؤمن تماما بأن ميلادي الفني كان عن طريق أغنية ياغزال»

ويستمر عبادي: «ولكن يجب أن أقول بعد كل هذه السنوات أنني وحتى اليوم لم أعاني من شيء مثل المعاناة التي عانيتها وأنا أغني تلك الأغنية في المسرح. ولعلي الآن عندما أشاهدها تعرض في التلفزيون وأشاهد نفسي أثناء أداء تلك الأغنية أشعر بقشعريرة من الخوف تمر على جسدي وكأني أعيش تلك اللحظات من جديد. فمنذ البداية وأنا أخشى مواجهة الجمهور وحتى الآن. وهذا عائد لمدى ما أكنه من الاحترام للناس.. ولكن في ذلك اليوم وجدت الأمور التي أخشى منها مضاعفة فالجمهور أمامي والمايكرفون أيضا.. بالإضافة إلى الكاميرات التلفزيونية التي أوقعتني في حيرة من أمري فلم أقوى على فتح عيني إلا في النادر وأنا أقدم أغنية يا غزال.».

ومنذ ذلك اليوم برز اسم عبادي الجوهر كواحد من أبرز فناني هذه البلاد. وحققت الأسطوانة التي حملت أغنية عبادي الجوهر النجاح تلو النجاح وتم طباعة كميات جديدة منها لثالث ورابع مرة.

يا غزال

كلمات : لطفي زيني
لحن : طلال مداح
غناء : عبادي الجوهر

يا غزال .. يا غزال .. فينه
اللى سافر يا غزال .. فينه
يا غزال خبّرني وطمني .. أخباره إيه
قلبي وعيوني وأفكاري .. سألوني عليه
ما وصل منه سلام .. يا غزال والله حرام
بيننا يصبح ظلام .. يا غزال فينه
يا غزال بغيابه فرحتنا .. صارت أحزان
ياسمين وفل جنينتنا .. أصبح ذبلان
جارته اشتاقت إليه .. كل يوم تسأل عليه
يا غزال قبل عينيه .. يا غزال فينه
خايف لو طول يتحول .. وعيونه تخون
وارجع اتعذب من أول .. والعشره تهون
ليش ما يرسل كتاب .. أنا قلبي داب
.. يا غزال فينه

يا حلاوة

كلمات : لطفي زيني
لحن : طلال مداح
غناء : عبادي الجوهر

يا حلاوه يا حبيبي — يحق لك
تومر وتنهى — مين يقدر يسألك
يا حلاوه يا حبيبي — كل شئ لايق عليك
خفة الدم اللي تذبح — والسحر اللي في عينيك
دوخوني .. حيروني .. — خلو أمري في ايديك
يسألوني الناس — إيش حببني فيك
شئ غريب الناس — ما شافوا عينيك ؟!
والا ما سمعوا كلامك — الحلا بابتسامك
حتى في حالة خصامك — رقتك تشهد عليك

اللّي مُو عالبال

كلمات : عبد الرحمن حجازي
لحن : جميل محمود
غناء : عبادي الجوهر

أهل المثل قالوا .. من قبلنا قالوا
اللي مو عالبال .. حاله صعب حاله
شوق حبيب قلبه .. رايح لعُزالُه
يتمنى لو إنه .. يخطر على باله
لكنه مو عالبال .. حاله صعب حاله
يا أنت يا فتنه .. يا أغلى من غالي
يا نور حارتنا .. تعال شوف حالي
واعطف على محزني .. حاله صعيب حاله
أنا اللّي حاله صعيب .. عايش وحيد وغريب

يومي لآهاتي .. والسّهد ليلاتي
والشوق خلاني .. من بعد خلاني
حالي صعيب حالي

لبنان مرة أخرى

وبعد النجاح الكبير الذي حققته أغنية ياغزال بدأ اسم عبادي الجوهر يتردد بشكل أكبر في كل أنحاء البلاد وأخذت الحفلات الخاصة والعامة تعطي عبادي بعضا من الدخل المادي الثابت وتركز اسمه في الأذهان حتى ان كثيرين اطلقوا على عبادي لقب فنان «ياغزال» وظل هذا اللقب ملتصقا بعبادي فترة طويلة جدا.

وكانت خديجة تراقب بكل الحرص خطوات ابنها الصغير وهو يحاول أن يركز قدميه في المجال الذي وضعته موهبته فيه.

وكانت الرحلة الثانية إلى لبنان هذه المرة مع رفيق عمر لطفي زيني الفنان حسن دردير الذي طلب من لطفي أن يسمح لعبادي بأن يسجل بعض الأغنيات لصالح الشركة الجديدة التي أنشأها.. ولم يمانع لطفي على الإطلاق في مساعدة حسن وأعطى عبادي تنازلاً ليسجل لشركة حسن دردير النهضة الجديدة.

وذهب عبادي إلى لبنان حيث سجل أربع أغنيات جديدة هي:

[ما في حل] كلمات «محمد بن معمر» وألحان «سراج عمر»

[العوازل] من ألحان «طلال مداح».

[محبوب قلبي] من الفلكلور.

وكانت هذه الرحلة أطول من الرحلة الأولى واستطاع عبادي خلالها أن يستفيد من تواجده في لبنان ليلتقي بعدد كبير من الفنانين الذين كانوا يقضون إجازتهم في ربوع لبنان الجميلة.

نجاح وفشل

على الرغم من النجاح الكبير الذي حققته أغنية ياغزال لعبادي إلا أنهـا على الجـانب الآخـر أخرت من بروزه بعد ذلك وجعلته محـاصرا حولها.. وظل الجمهور لايسمع أو لا يود أن يسمع غير تلك الأغنية.

وعلى قدر السعادة التي كان يحسها عبادي بنجاح أغنيته إلا أنه كان يشعر بالاحباط في كل مرة يحس فيها أن الجمهور لم يكن يود أن يسمع شيئاً عن بقية أغنياته.

واستمر الحال كما هو فلم تحقق الأغنيات الجديدة التي سجلها عبادي لشركة حسن دردير كثيرا من النجاح.

وكانت هذه هي آخر الأغاني التي سجلها عبادي على أسطوانات قبل ظهور الكاسيت وبذا يكون ما سجله عبادي من أغنيات على الأسطوانات هو:

١ - يا غزال.
٢ - يا حلاوة.
٣ - بطرفه الأحور.
٤ - الحب المؤقت.
٥ - نشيد عن الملك فيصل.
٦ - اللي مو عالبـال.
٧ - خايف منك.
٨ - ما في حل.
٩ - محبوب قلبي.
١٠ - العوازل.

ظهور الكاسيت

مع منتصف عام ١٩٦٩ واجهت شركـات الأسطوانات منافسة قوية من الكاسيت الذي بدأ يغزو الأسواق بسعره الزهيد وسهولة حفظه وقدرته على حفظ عددا أكبر من الأغنيات بالإضافة إلى الميزة المهمـة التي يتفـوق من خلالهـا على الأسطوانات وهي إمكانية

تسجيل المادة المرغوب بها بكل سهولة ويسر.

ومع كل المزايا الجديدة التي قدمها الكاسيت لم تستطع شركات الأسطوانات أن تستمر وأعلنت معظمها إفلاسها وتركت الساحة وكان آخرها شركة رياض فون التي يملكها لطفي زيني وشريكاه طلال مداح والأمير خالد بن تركي.

ما بعد الكاسيت

كان ظهور الكاسيت إيذانا بظهور مرحلة جديدة من الفن وظهور فئات جديدة من التجار الذين تحكموا في سوق الكاسيت ولم يكن من السهل التحكم في هذا السوق الذي انتشر بسرعة وأصبح واحد من أسرع طرق الربح. حيث إن الحصول على نسخة واحدة لأي حفل أو جلسة فنية أو أغنية جديدة يعني فرصة جيدة لعمل آلاف النسخ وبيعها في الأسواق بأسعار عالية ويكون دخلها بالكامل لصالح الموزع وليس للفنان فيها لا ناقة ولا بعير.

كانت الظروف التي أظهرت فئة تجار الكاسيت سببا في تنفيذ الإعدام على عدد من الأغنيات التي وجدت طريقها إلى يد الموزع قبل الانتهاء منها بشكل نهائي وتناولتها الأيدي وهي مشوهة تماماً.. وزادت رداءة التسجيل من جعلها أكثر سوءاً.

كانت سوق الكاسيت رائجة بشتى المعايير واستفاد منها الكثيرون وكونوا من خلالها ثروات كبيرة.. ولكنها لم تكن كذلك بالنسبة للفنانين فقد قطعت عنهم موردا ثابتا كانت الأسطوانات تشكله في ظل التحكم الجيد الذي كان يمكن ممارسته من خلالها على الأسواق.

عبادي والكاسيت

كانت انتهاء عهد الأسطوانات بالنسبة لعبادي ليس فقط انقطاع

مورد مادي ثابت ولكنه كان بداية مرحلة جديدة يعتمد فيها كلية على نفسه، فانتهاء شركة رياض فون كان يعني انتهاء العقد المبرم معها وبالتالي انتهاء الأعمال الجاهزة التي كانت الشركة تؤمنها له بكل سهولة.

يقول عبادي الجوهر: «فجأة مع ظهور الكاسيت وجدت نفسي وحيـداً من جديـد. فقـد كان الكـاسيت عبارة عن كابوس مزعج استيقظت بعده لأرى الوسط الفني وقد تغيرت كل أولوياته، فبعد أن كانت الأسطوانة تتحكم في سوق الأغنية وكانت الشركات المنتجة تتحكم في الأسطوانات فجأة تحول كل شيء إلى حالة من عدم التوازن فظهرت فئة جديدة تستغل الفن وتستفيد منه والفنان هو الضحية لم تكن الموارد المادية هي المشكلة الوحيدة التي عانيت منها بعد ظهور الكاسيت ولكن المشكلة الفنية كانت أكبر حجما. فمن سيتكلف بتسجيل الأعمال في ظل تلك الظروف الغير طبيعية؟! ودون أن يكون هناك أدنى مردود من هذه الأعمال.

ويستمر عبادي «من الطبيعي القول بأني لم أكن الوحيد الذي أعـاني من تلك المشكلة فكل الفنانين دون استثناء شعروا بها.. ولكن مشكلتي هي أنني كنت في تلك الأيام أتلمس أولى خطواتي في عالم الفن.. فأتى الكاسيت فجأة وكأنه يحاول أن يقضي علي.. وأنا واثق جدا من أن تلك الفترة قضت على كثير من الفنانين كان من الممكن أن يأخذوا مكانتهم الطبيعية في الوسط الفني لو أن الظروف كانت غير تلك.

المدّ والجزر

اكل عيش

كانت حيـاة عبادي منذ انتهاء الأسطوانات متأرجحة مما بين المد والجذر.. فقد قضى الكاسيت على الدخل الثابت الذي كان يحصل عليه من الأسطوانات وأصبحت الحفلات هي مصدر دخله الغير منتـظم والغيـر مضمون خصوصا وأن الاسطوانات انتهى عصـرها مع بداية ظهور عبادي فلم تتح له الفرصة ليكن معروفا بالشكل الذي يمكن أن يضمن له حفلات خاصة به.. فحتى ذلك الوقت كان كل ما يعرض على عبادي من حفلات على أساس أنه فنـان مكمل لواحد من الفنانين المشهورين في ذلك الوقت أمثال طلال مداح ومحمد عبده وعبدالله محمد وفوزي محسون وحيدر فكري.

ولم تكن حيـاة عبادي في تلك المرحلة سهلة.. فقد بدأ يشعر بضيق ذات اليد.. وعلى الرغم من الدخل البسيط الثابت الذي كان يقدمه إيجار الجزء الأسفل من الدار التي تركها والده.. إضافة إلى الراتب البسيط الذي كان يتقاضاه أخوه عبدالرحمن من الخطوط السعودية حيث يعمل.

ولم يكن يغيب عن ذهن عبادي ذلك الوضع الذي تعيشه أسرته، ولكنه لم يكن يتصور نفسه أبدا يؤدي أي عمل غير الفن كان يعرف تماما أن قدره أن يكون فنانا.

ولم تكن خديجة غافلة عن أفكار ابنها ولكنها كانت تود أن تفتح عينيه على آفاق جديدة ليستطيع مواجهة الحياة إذا استمر طريق الفن معلقا كما كان عليه الحال في تلك الأيام.

الوظيفة

بعد عصر أحد الأيام بينما كان عبادي كعادته يدندن على العود في ركن الصالة حيث تعود أن يقضي أوقاته.. اقتربت خديجة من ابنها وقد حملت فنجانا من الشاي ووضعته أمام ابنها الذي توقف عن العزف ليوجه إليها نظرة كلها شكر وامتنان جلست خديجة أمام ابنها بكل هدوء وأخذت تنظر في عيني ابنها الذي سبقها إلى الكلام.

- الظاهر إنك تودين قول شيء ما.

تعرف يا عبادي إن الحياة لاتستمر على حال أبدا.. وعشان كدا لازم تشتغل وأهو على الأقل يكون عندك دخل ثابت.

- أمي .. أنت تعرفي ان الفن هو كل حاجة في حياتي.. وما أقدر أتخيل نفسي في حاجة تانية أبدا..

- أنا ما أقول إنك تترك الفن ياعبادي ولكن حاجة زايدة على الفن.. وأهو تساعدك على أكل عيشك..

- الحقيقة اني ما أقدر أعمل أي حاجة غير فني..

- اسمع ياعبادي انت اليوم لوحدك.. ولكن بكره يصير عندك بيت وأولاد لازم تفكر فيهم وتعرف كيف تصرف عليهم.. على العموم انت ما جربت ولا وظيفة حتى تعرف إذا كنت ممكن تستمر أو لا.

- ورأيك.

- اللي أنا أشوفه إنك تجرب تشتغل في وظيفة معينة وبعدين تقدر تعرف وتحكم على الأشياء.. على العموم أنا كلمت قريبنا عبدالمجيد شنكار وقال إنه عنده وظيفة لك. وبيستناك بكره تفوت عليه.. على فكره هو قلي أقولك إنه العمل على فترتين في الصباح حتى الظهر ومن بعد العصر حتى المغرب.

ـ ولكن.....
ـ ولا لكن ولا حاجة .. انت بكره تروح وبعدين ممكن نتكلم.

أول أيام الوظيفة

وفي صباح اليوم التالي كان عبادي يمارس عمله الجديد بمكتب شنكار كمسجل ومتابع للمعاملات التي ترد من الفروع لم يجد عبادي كثيرا من المتعة في ذلك العمل وأخذ يسترق النظر إلى ساعته فلعل الزمن يعلن نهاية الدوام من أجله ولكن الوقت كان يمر بطيئا ثقيلا كالحزن.

وانتهت الفترة الصباحية بعد أن ظن عبادي انها لن تنتهي أبدا.. واتخذ عبادي طريقه إلى البيت وقد عرف في قرارة نفسه أنه لم يخلق ليكون إنسانا روتينيا يذهب إلى مكتبه في الصباح ليعود إليه بعد العصر وكله حماس وشوق.

وفي البيت صارح والدته بعدم رغبته في العودة إلى العمل من جديد ولكنه وتحت إصرارها اضطر للرضوخ خصوصا بعد أن أقنعته أن شعوره ذلك قد يكون من أجل أن هذه أول مرة يمارس فيها العمل الوظيفي.

ولم تكن الفترة المسائية التي عمل بها عبادي خير من الصباحية في نظره حاول أن يأقلم نفسه مع جو العمل الوظيفي دون فائدة فقد كان يحس بأنه يختنق بين الأوراق.

وانتهت الفترة الثانية وعبادي يشعر بأن الحياة لا يمكن أن تستمر بهذا الشكل تحت أي ظرف من الظروف.

وعاد عبادي إلى البيت ولم يكن في استطاعته مواجهة والدته

بقراره ترك العمل فانزوى في أحد أركان الصالة واحتضن آلته المفضلة وراح يشكو لها همه..وأخذت الآلة توزع أنغامها الحزينة على أجواء البيت.

وأخذت خديجة ابنها بين ذراعيها وضمته بحنان كبير وقالت:
«عبادي.. أنا أكثر من يعرفك.. فركز على موهبتك..
وهكذا لم يكتب في ملف الموظف عبادي الجوهر سوى يوما واحدا فقط....

التواجد

كان سوق الكاسيت كما أشار عبادي لا يشجع على الإبداع الفني فقد أصبح هذا السوق مصدر إحباط نفسي كبير بالنسبة للفنانين وهم يشاهدون أعمالهم تظهر من خلاله مشوهة من رداءة التسجيل ويتابعون جهودهم ومردودها يتدفق إلى جيوب تجار الكاسيت.

وعبادي ظل طوال ذلك العام يراقب ذلك الوضع بكل ألم دون أن يشارك فيه على أمل أنها فترة وتمر وتعود الأمور إلى ما كانت عليه من قبل. ولكن أمله خاب وظل الوضع كما كان عليه دون تغيير يذكر بل إن الكاسيت أضاف إلى الوسط الفني أسلوبا جديدا لا يعترف فيه بغير السرعة في تقديم الجديد والاستمرارية في ذلك وإلا حكم على الفنان بالانتهاء.

وفي ظل هذه المعطيات الجديدة التي أوجدها الكاسيت وجد عبادي نفسه محاصراً بين فكي كماشة إما التواجد في هذا السوق الذي أصبح الكاسيت يتحكم فيه أو أن يجد نفسه خارج الساحة الفنية في ظل الظروف الجديدة التي فرضها الكاسيت على السوق.

واختار عبادي الاختيار الأول.. ولكنه وجد نفسه وحيدا هذه المرة معتمدا في ذلك على نفسه فلم يكن هناك لطفي زيني الذي كان ينسق له كل شيء ولم يكن هناك طلال مداح ليقدم له ألحانا جديدة. وقرر عبادي الدخول في تجربة التلحين لنفسه ليس فقط من أجل إثبات قدرته على التلحين ولكن لتخفيف تكاليف الأغنية أيضا.

عبادي الملحن

وبدأ عبادي مرحلة البحث عن نصوص غنائية يقوم بتجربته في التلحين عليها.

يقول عبادي: «لا أعتقد أن تلك الألحان كانت من الأعمال القوية ولا أحسن أنها كانت من الإبداع في شيء لتؤثر في الناس في تلك المرحلة ولكنها كانت محاولة جادة للاستمرار في هذا الوسط».

وسجل عبادي خلال عام ١٩٦٩ عدد من الأغنيات التي لم تلاقي كثيراً من النجاح ولكنها كانت محاولة جادة منه للتأكيد على تواجده في هذا المجال ومن أغنيات تلك المرحلة «والله عال» كلمات يوسف رجب وأغنية «رد قلبي» من كلمات محمد بن معمر «وواحد» من كلمات شاعرة تحت مسمى مشاعر.

إعجاب سراج عمر

لم تلفت تلك الأعمال التي قدمها عبادي من ألحانه أنظار الكثيرين.. ولكن فنانا واحداً شعر من خلال تلك الألحان بأن هناك موهبة كبيرة توشك على الظهور ولا تحتاج أكثر من نص غنائي قوي تتفاعل معه تلك الموهبة لتقدم أعمالا رائعة ولم يكن هذا الفنان سوى الملحن سراج عمر.

وبأخلاقيات الفنانين الكبار قام سراج بإعطاء عبادي نصا من كلمات الأمير الشاعر بدر بن عبدالمحسن.. وطلب من عبادي أن يجـرب أن يلحن تلك الأغنيـة وكان ذلك العام «١٩٧٠» ومع ذلك النص الذي أخـذه عبادي من سراج ظهرت أغنية عبادي «كأنك حبيبي» التي يؤكد عبادي على أنها كانت الميلاد الحقيقي له كملحن.

يقول عبادي: «كل الأعمال التي قمت بتلحينها قبل عام ١٩٧٠ كانت مجرد أفكار عادية من وجهة نظري ولم أنظر لها إلا لمجرد التواجد في سوق الكاسيت. ولا أعتقد أنها لفتت انتباه أحد إلي كملحن ولكني كنت أؤكد من خلالها على تواجدي في المجال الفني فقط..

ويتابع عبادي قائلاً: «مع بداية تلحيني لأغنية كأنك حبيبي كنت أشعر بالفرق مابينها وبين كل الألحان التي سبقتها ومن خلال تلك الأغنية أعتقد أني ولدت كملحن.».

لقاء هام

في إحدى أمسيات عام ١٩٧٠ قام عبادي بزيارة مفاجئة للفنان فوزي محسون في منزله وكان لهذه الزيارة أثرها الكبير في حياته، حيث التقى هناك باثنين من كبار كتاب الكلمة الشباب الذين لعبوا دورا هاما في بلورة شخصية عبادي الجوهر المستقبلية من خلال نصـوصهم المغنـاة وهمـا الأميـران بدر بن عبدالمحسن ومحمد العبدالله الفيصل.

وكانت تلك هي المرة الأولى التي يلتقي فيها عبادي بالشاعرين الذين لعبت الصدفة في ضرب ذلك الموعد الغير مرتب في تجميعهم في منزل الفنان فوزي محسون في تلك الليلة.

وأسمع عبادي الأمير بدر بن عبدالمحسن أغنية «كأنك حبيبي» التي لحنها من كلماته وأعجب بها الأمير الشاعر جدا. ولم يفوت عبادي الفرصة فطلب من الشاعرين نصوصا غنائية ليقوم بتلحينها ووعداه بذلك.

بداية الرحلة مع الألحان

ولم تمض فترة طويلة قبل أن يتسلم عبادي نصين جديدين من الأمير بدر بن عبدالمحسن هما «أحبها» و «صدى» .. وبذل عبادي جهدا مضاعفا لإخراج هذه الأغاني بشكل مرض، وعندما انتهى من تلحينها عرضها على الفنان سراج عمر الذي تحمس لها جدا واقترح أن يتم تسجيلها في مصر حيث الإمكانيات الموسيقية متوفرة بشكل أكبر.

وسافر عبادي إلى الرياض. وأسمع الأمير بدر الألحان الجديدة التي وصفها الأمير بأنها رائعة وأيد فكرة سراج في ضرورة تسجيلها في مصر مع الفرقة الموسيقية الكاملة.

في القاهرة

وفي القاهرة قام عبادي بتسجيل تلك الأعمال وكانت هذه الرحلة هي الأولى التي يقوم بها عبادي إذا ما استثنينا رحلة إلى هناك مع والده ولم يتجاوز عمره حينها السنتين.

وسجل عبادي في تلك الرحلة أغنيات الأمير بدر بن عبدالمحسن الثلاث «صدى» و«أحبها» و«كأنك حبيبي».

وبعد الانتهاء من تسجيل تلك الأغنيات وقبل عودته إلى جده التقى عبادي الجوهر بطلال مداح ولطفي زيني. واستمع طلال

للأعمال الجديدة التي نفذها عبادي وأعجب بها جدا. وأثنى طلال على تلك الأعمال إلى درجة أن قال وأمام الحضور في تلك الليلة موجها كلامه لعبادي:

أنت كمن سكت الدهر ثم قال الدرر .. أريدك أن تعمل لي لحنا على هذا المستوى.

لم يكن عبـادي سعيداً بشهادة طلال فقط ولكنه كان مندهشا أيضا فهل يعقل أن يلحن وهو مازال في أول الطريق لأستاذه إن صح التعبير؟؟ وأصر طلال على عبادي أن يلحن له.. وقام لطفي زيني بإعطاء عبادي كلمات من إنتاجه الشعري ليلحنها لطلال. وكان ذلك الإعجاب هو بداية مولد أغنية «طويلة يادروب العاشقين» التي سلمها عبادي لطلال بعد ذلك اللقاء بشهرين. وقام طلال بغنائها.

ومن الأحداث التي يتذكرها عبادي جيدا.. اعتراض والدته على طريقـة تلحين تلك الأغنيـة حيث كانت والدته تعتقد أن مثل تلك النوعية من الألحان ليس لها نصيب من النجاح لدى الجمهور لأنها لاتحمل مقاطع من خلالها يستطيع الجمهور أن يشارك بالترديد أو التصفيق.. وهو الأمر الذي كانت خديجة تعتقد أنه يشكل أهمية قصوى لنجاح أي أغنية جماهيريا.

يقـول عبادي: (بعد أن استمع طلال مداح إلى تلك الأعمال وشاهدت مدى إقتناعه بها وإعجابه أحسست بأني أضع قدمي على الطريق الصحيـح.. ورغم ما أظهره طلال من الإعجاب.. لم أكن أتـوقع أبدا أن يطلب مني أن ألحن له وهو الفنان الكبير الذائع الصيت وأنا مازلت في أول مشواري. ولكن طلب طلال ذلك.. أعطاني دافعاً أكبر لأن أقدم له أفضل ما استطيع أن أقدمه.. وعلى الرغم من عدم النجاح الجماهيري الذي صاحب أغنية «طويلة يادروب العاشقين»...

أمل

كان عبادي يؤمل الكثير من أغنية «صدى» التي مازال عبادي يحمل لها الكثير من الإعجاب ويعتقد أن الحظ لم يخدم تلك الأغنية بالشكل اللازم والمطلوب. ولكن تلك الأغاني الهادئة التي كانت تعتمد كلية على الفن الموسيقي والتوزيع الجيد للالات لم يكن لها تأثير كبير على الجمهور لعدة أسباب منها أن تلك الفترة الزمنية تميزت عن غيرها بظهور الأغنية السريعة التي قدمت إلينا مع ظهور الكاسيت في السعودية فبدأ الناس يستمعون إلى الأغنيات الخفيفة القادمة من بيروت والقاهرة بأصوات سميرة توفيق وفهد بلان ومحمد رشدي.

واستطاعت تلك الموجة إن تؤثر في الأغنية المحلية و أن تحول معظم الفنانين إلى تقديم الأغنية الخفيفة.

ومن الأسباب الأخرى التي لم تساعد على نجاح الأغاني الهادئة ذات الريثم البطيء.. طريقة التوصيل للمتلقى والتي كانت تعتمد على النسخ التقليدي القديم الذي كانت تعتمد عليه استريوهات التسجيل في ذلك الوقت فمع نهاية عملية النسخ من شريط إلى آخر كانت الأغنية تصل إلى أذن المستمع وقد فقدت الكثير من جودتها الموسيقية وقوة أداء الفنان.. وهما العاملان الأساسيان في نجاح هذا النوع من الأغنيات.

بداية المأساة

كان عام ١٩٧١م هي السنة التي بدأت فيها المأساة في حياة عبادي. كان ذلك العام هو بداية أحزان عبادي الطويلة.. وبداية مشواره مع الألم والحرمان فقد كان ذلك العام هو بداية مرض خديجة.. التي كانت بالنسبة لعبادي تعني كل ما في الحياة من طمأنينة وحب.

بدأ المرض الخبيث مع هذه السيدة الصبورة بكل قسوة وتلقته هي بكل صبر.

حاولت خديجة كعادتها أن تخفي المها حتى لا تشغل أحدا من ابنيها عن عمله.

صمدت أمام هجمات الألم بكل صمت وتقبلت تلك النوبات الهوجاء بكل هدوء، واستطاعت أن تهزم الخوف بالإيمان.

ومرت الشهور ثقيلة عليها وأخذ المرض يمارس كل أنواع الألم على جسدها حتى تمكن الأنين من التسرب من خلال شفتيها إلى أذان ابنيها بكل حرقة.

كانت خديجة تعني الكثير لتلك الأسرة الصغيرة.. كانت الأب والأم والأخ والأخت لعبدالرحمن وعبادي.. ولذا كان وقع الألم على كليهما عظيما. وأدخلت حالة مرض خديجة حالة من القلق والخوف في أرجاء ذلك البيت.

فمع كل نوبة ألم تعاني منها خديجة كان الخوف يعصر في قلب عبادي.. ومع كل مراجعة للطبيب كان يحس بأن الحياة تغادر أعز الناس إليه قليلا قليلا.

واستمرت المحاولات الطبية من طبيب لآخر. ومن مستشفى لآخر والحالة في تدهور مستمر.

العلاج في الخارج

وأصر عبادي على أن عرضها على أطباء في مصر فربما يضع الله شفاءها على يد أحدهم وعلى الرغم من اعتراض خديجة الشديد على السفر إلا أن إصرار عبادي كان أقوى من أن تقف أمامه، وبدأت رحلة العلاج في مصر وعرضها عبادي على أشهر أطباء مصر، وتنقل بها من مستشفى إلى آخر في محاولة مستميتة منه لأن يعيد إلى ست الحبايب تلك الابتسامة التى سرقها المرض منها.

واستمرت محاولات الأطباء طويلاً.. وعاش عبادي أياما من الحيرة ما بين طلب والدته العودة إلى جده وبين أوامر الأطباء بضرورة بقائها حتى تكون تحت الملاحظة الطبية الدائمة وتغلب عبادي على ضعفه الأزلي أمام والدته ليصمم على البقاء في مصر حتى يقضي الله أمرا كان مقضيا.

وكانت الإقامة في مصر تحتاج إلى مصاريف دائمة وكثيرة، وهو الأمر الذي عانى منه عبادي كثيرا فمع طول فترة الإقامة في المستشفى بدأ المبلغ الذي حضر به عبادي إلى مصر ينضب قليلا قليلا.

ولم يمض على وصول عبادي إلى مصر سوى خمسة أشهر حتى وجد عبادي ان ما تبقى بيده لايكاد يكفي لنفقات المستشفى لأسبوع آخر. ولم يكن أمام عبادي أي خيار سوى قبول العرض الذي قدمه له أحد متعهدي المسارح الليلية للغناء هناك ليليا مقابل ١٠٠جنيه مصري لليلة الواحدة.. ووجد عبادي نفسه يغني بدون

رغبة في الغناء ولأول مرة في حياته.

واستمر عبادي يغني كل ليلة والحزن يعصر داخله بكل قسوة.. وفي كل مرة كان يحاول أن يتلقى هتاف الجمهور بابتسامة.. كان الخوف يسارع إلى قلبة فيهزم الابتسامة في مهدها بكل قوة واستمرت رحلة الحزن إلى ما لا نهاية بالنسبة لعبادي.. غناء حتى الصباح من أجل الحصول على مصدر يكفي لتسديد نفقات علاج والدته.. وجلوس على الكرسي بجوارها طوال النهار.

يقول عبادي: «لا استطيع أن أذكر تلك المراحلة إلا وتدمع عيناي.. فأنا أتخيل منظرها في المستشفى وهي تصارع المرض بكل شجاعة.. وفي نفس الوقت تحاول جاهدة أن تخفي عني حجم معاناتها مع الألم كانت - رحمة الله عليها - حتى في ذلك الوقت الذى تخور قوى معظم الناس تحاول أن لا تظهر المها حتى لا تسبب الألم لأي كان ممن حولها وطبيعي أن أتذكر جيدا تلك الفترة الحرجة من عمري فقد كنت أشعر بعجزي عن فعل أي شيء من أجل أن أخفف عنها الألم.. وخوفي من أن أفقدها.. فأعش ما تبقى من حياتي محروما من حنانها مثلما حرمت من حنان الأب.

ومضت الأيام بطيئة على عبادي وهو يشاهد بصيص الأمل في شفاء والدته يخبو قليلا قليلا مع الأيام، وبدأت خديجة مجهدة أكثر من قبل.. وبدأت شمعة الحياة تتوارى من عينيها.. وأصر عبادي على بقائها في المستشفى لفترة جديدة رغم تأكيد الأطباء له أن المرحلة التي وصل إليها المرض متأخرة جدا وليس هناك كثير من الأمل في أن تبقى طويلا.

واستمرت أيام العذاب بالنسبة لعبادي.. ففي الليل يحاول جاهدا

ان يقدم السعادة للناس من خلال فنه ومن الداخل كان يتعطش للحظات من الأمل تعيد إليه أعز الحبايب.

القرار

على الرغم مما كانت تعانيه خديجة إلا أن منظر عبادي لم يكن يخفى عليها فقد كانت ترى الإجهاد واضحا في عينيه عندما يحضر إليها في الصباح.. وكانت تحس بحجم معانته.. ولكنها أمام إصراره لم تستطع أن تنفذ قرارها بالعودة إلى جدة حتى كان ذلك اليوم الذي رأت فيه عبادي وهو يكاد يقع على الأرض من شدة الإعياء وقد قدم مباشرة من المسرح إلى المستشفى بعد أن انتهى من تقديم وصلته الغنائية الليلية.. وعندها جمعت خديجة كل ما تبقى لها من قوة لتصيح:

- يجب أن أعود إلى جدة..
- لا يمكن حتى يسمح لك الأطباء بذلك..
- أنا لست طفلة.. فلقد قضيت هنا مدة طويلة ولا أريد أن بقى أكثر من ذلك.
- ولكن أنت لازلت مريضة..
- اسمع ياعبادي أنا عارفة إيش مرضي بالضبط.. وما تقدر تخبي على أكثر عشان كده أنا أتمنى أرجع لجدة وبسرعة.. على الأقل أعيش الأيام الباقية بين أهلي وناسي..
- «إيه الكلام ده.. انت إن شاء الله رايحة تتعافي وتصيري عال العال.
- اسمعني ياعبادي إذا كنت فعلا تبغى تريحني خليني أرجع جدة...

وأمام إصرار خديجة لم يملك عبادي سوى الرضوخ.. وحزم

امتعته عائدا بصحبتها إلى جدة بعد أن استمرت تلك الرحلة أكثر من عام.

جدة

وفي جدة استمرت موجات الألم التي تعاني منها خديجة.. وأصبحت حالتها تسوء يوما عن يوم.. وأخذ عبادي يراقب بكل الألم أمه والموت يسلبها من بين يديه بكل قوة.. ومع كل موجة ألم تمر على خديجة كان عبادي يحس بأن هناك آلاف الدبابيس تنغرس في جلده وكأنها تحاول أن تتعمق إلى مجرى دمه.. وأخذت تعاني من نوبات من الاغماء من تأثير المرض ورغم ذلك فقد أصرت على عدم الذهاب إلى المستشفى على الرغم من كل المحاولات التي بذلها عبدالرحمن وعبادي.

ومع تزايد نوبات الاغماء قام عبدالرحمن وعبادي بنقلها إلى المستشفى ولم تستيقظ إلا وهي على سرير المستشفى الأبيض.. وكانت أضعف من أن تعترض هذه المرة واكتفت بترديد نظرها بين ولديها وكأنها تحاول أن تجعلهما آخر ما تقع عليه نظرها من الدنيا.

وفي تلك الليلة أصر عبادي على أن يبيت بجانبها في المستشفى الوطني.. وفعلا ظل عبادي على طرف فراشها طوال الليل يمسح العرق المتصبب من على جبهتها من تأثير الحمى.

وفي الصباح غادر عبادي المستشفى إلى البيت ورغم أنه لم يذق طعما للنوم طوال الليل إلا أن شيئا ما منعه من النوم رغم كل محاولاته.

ومع أذان الظهر من يوم الثلاثاء ١٥ شوال ١٣٩٢هـ اتصل

طبيب المستشفى على البيت ليخبرهم بأن خديجة قد انتقلت إلى رحمة الله.

ولم يستطع عبادي أن يدخل إلى الغرفة حيث يرقد الجثمان فأمام تلك الغرفة شعر عبادي وكأن جزءا منه قد تم استئصاله كان عبادي يعلم أن أيام والدته قد قربت ورغم ذلك كان تأثير الصدمة عنيفا عليه جدا فقد شعر بأنه أصبح وحيدا بعد أن فقدها.

يقول عبادي: كثيرون يتساءلون عن نبرة الحزن الدائمة التي ترتبط بصوتي.. ويؤكدون على أنها صفة التصقت بي وأصبحت مميزة بمعظم أعمالي.. وأنا شخصيا أعتقد أن هذه الميزة وجدت في داخلي منذ أن فقدت والدتي فهي لم تكن بالنسبة لي والدة فقط فقد كانت كل ما في حياتي من الأشياء فهي الأب والأخ والصديق والموجه والأستاذ. وكل ما تحمله الحياة من معان جميلة .. وأعتقد انه منذ أن فقدتها أصبح شكل الحياة يختلف كثيرا جدا عن ذي قبل. ولا اجانب الحقيقة إن قلت إنني وحتى هذه اللحظة أفتقدها جدا واحس أني بحاجة إليها أكثر من السابق.

العزلة

كانت السنوات الأربع التي تلت موت خديجة عبارة عن سنوات من الضياع بالنسبة لعبادي فقد عاش فيها شاعرا بالضياع وكأن الحياة بالنسبة له قد توقفت بعد فقدان خديجة. لم يكن يشعر بالحزن فقط ولكنه كان يعتقد جازما أنه لن يستطيع أن يستمر طويلا من دونها.

على الرغم من كل محاولات عبادي لمعايشة الواقع لكن شيئا ما في داخله كان يشعره بعجزه عن المتابعة في أي مجال بعد خديجة.

وكانت تلك السنوات الأربع من حياة عبادي هي أقل سنوات عمره الفني عطاءاً حيث لم ينتج سوى أعمالا قليلة جدا وكانت النغمات الحزينة تملأ جوانبها لتظهر ما يحدث داخل عبادي من التفاعلات.

يقول عبادي: «حقيقي لقد هزني من الأعماق موت والدتي.. ولم أكن أتوقع أن أكون قادرا على الغناء بعدها، وفعلا مضت فترة طويلة وأنا أحاول أن أتأقلم مع غيابها ولم يكن هذا بالشيء السهل على الإطلاق.. وقد اتفق مع كثيرين من أن وفاة والدتي قد أخر كثيرا من انطلاقتي الفنية.»

سافروا ماودّعوا

كلمات: بدر بن عبد المحسن
لحن: فلكلور.
غناء: عبادي الجوهر

سافروا ماودعوا ..
سيبوني وراحوا ..
سيبوني للنوى ..
انكوى بجراحه ..
سافروا آه .. يازمن ..
طول في الغيبه ..
بسمتي صارت شجن ..
خطوتي تغديبه ..
عذبوا قلبي أنا في الهوى ..
وارتاحوا ..
غيبي يا نجمه سهر عن سواد عيوني ..
وغيبي لو غاب القمر وصحبتي نسيوني ..
وليلي من بعد الهنا ..
ضيعوا أفراحه ..

ما بعد العزلة

استمرت حالة الانعزال التي فرضها عبادي على نفسه حتى عام ١٩٧٦م حيث كان ذلك العام هو بداية المرحلة الثانية المهمة من حياة عبادي.

فمع بداية ذلك العام التقى عبادي بالأمير الشاعر بدر بن عبدالمحسن وعلى أثر ذلك قام الأمير بدر بإعادة كتابة الأغنية الشعبية المعروفة «سافروا ما ودعوا» مع الاحتفاظ بالمطلع الأساسي للأغنية ولحنها عبادي بكل إحساسه ووضع فيها الكثير من الإضافات على لحنها الفلكلوري واستطاعت تلك الأغنية أن تعيد تقديم عبادي إلى الجمهور.

يقول عبادي: «منذ تلك الأغنية.. وضعت لنفسي خطا في التلحين يعتمد على استعمال الجمل اللحنية الشعبية في الأغنيات التي أقدمها مما يسهل وصولها وتلقيها من قبل الناس. والمتابع لمسيرتي مع الألحان يلاحظ ذلك جليا.. وأعتقد أن فترة الانقطاع السابقة ساعدتني كثيرا في تلمس ما يمكن أن يؤثر في الناس ويمكن أن ينجح معهم».

رحال

وفي نفس العام بدأ عبادي ما يمكن أن نطلق عليه معسكر العمل الجاد لتعويض ما فاته.. وبدأ عبادي في تحديد اتجاه معين له من الأعمال التي يمنك أن يقال عنها أنها تحمل طابع ماسمي فيما بعد سمة عبادي في التلحين.

وفي نفس السنة قدم عبادي الأغنية التي يؤكد الكثيرين أنها

كانت أغنية المرحلة الثانية المهمة من حياة عبادي الجوهر.. وهي أغنيـة «رحـال» التي كتبهـا الأمير ممدوح بن سعود.. مع أغنيته الأخرى «دارت الدنيا».

وكـانت هذه الأغنيـة هي البداية الثانية الحقيقية لعبادي بعد أغنية «يا غزال».

هذه الأغنية استطاعت أن تلفت انتباه النقاد إلى عبادي وأن تقدمه كواحد من المع الفنانين الذين أفرزتهم هذه البلاد.

ولهـذه الأغنيـة قصـة طريفـة لابـد من أن نذكرها في مجمل الموضوع عن حياة عبادي.

ففي صيف عام ١٩٧٦ في القـاهـرة وقـع عبـادي على عقدا للاشتراك في إحدى الحفلات إلى جانب استاذه طلال مداح وكان من ضمن شروط العقد أن يقدم عبادي في تلك الحفلة أغنية جديدة لم يقـدمها من قبل ولم يكن لدى عبادي في ذلك الوقت أي من الأعمال الجديدة التي يمكن أن تنطبق عليها الشروط التي وضعها المتعهد.

ومن الأشيـاء التي تعـود عبـادي على عملها ومازال احتفاظه بالنصوص الغنائية التي تعجبه في إحدى الحقائب الجلدية التي لا تفارقه أبدا في السفر أو الاستقرار..

وبدأ عبادي في البحث بين النصوص التي ضمتها الحقيبة في محاولة للوصول إلى نص يستطيع من خلاله أن يقدم أغنية جديدة.. وعثر على نص أغنية رحال. وبدأ رحلة من التفكير للوصول إلى لحن جيد لتلك الكلمات الجميلة.

ولم يأخذ الأمر أكثر من ثلاثة أيام للوصول إلى الشكل النهائي لأغنية «رحال».

وكعـادة عبادي اسمع اللحن لطلال مداح الذي أبدى إعجابه الشديد باللحن وطلب من عبادي أن يعطيه ذلك اللحن ولكن الوقت المقرر للحفل الكبير لم يكن ليسعف عبادي لتقديم عملاً آخر.. ولذا اعتذر وبكل لباقة لطلال.

وقدم عبادي عمله الجديد في الحفل الذي أقيم في القاهرة.. ولم يحقق اللحن النجاح المتوقع منه ولكن عبادي كان واثقا من أن في هذا اللحن الكثير من الإبداع الذي لابد من أن تتقبله الناس ولو بعد حين.

وكان القدر قد كتب لهذه الأغنية أن تظهر في دولة أخرى غير مصر ولم تكن تلك الدولة سوى دولة قطر ففي ذلك العام أقيمة دورة الخليـج الخـامسـة في الدوحة.. ورشحت الرئاسة العامة لرعاية الشباب الفنان عبادي الجوهر ليشارك في الحفل الختامي لهذه البطولة.

وفي ذلك الحفل الكبير وبمصاحبة فرقة إذاعة الكويت الموسيقية قدم عبادي أغنيات هي «دارت الدنيا» و«رحال».

واستـطاعت «رحـال» أن تحقق ردة فعل هائله لدى الجمهور.. الذي تمايل طربا مع عبادي وهو يغني تلك الأغنية بكل ذلك الحماس والتطريب.

ومـع وصـول أشـرطة الحفـل الكبيـر إلى المملكة بدأ الطلب الجماهيري يتزايد على الأغنية حتى أن التلفزيون كان يعرضها أكثر من ثلاث مرات في الأسبوع الواحد.

وحققت «رحال» لعبادي ما بدأته «ياغزال» من الانطلاق.. بعد أن كتب الله لهذه الأغنية أن تنجح في أرض دولة قطر وبمساندة فرقة كويتية وبصوت فنان سعودي.

رحّــال

كلمات: الأمير ممدوح بن سعود

ألحان: عبادي الجوهر

رحّال .. يا أنا ... رحّال

بين المواني .. بالأماني ... رحّال

بين الدروب ... رحّال

بتعب القلوب ... رحّال

بلا فرحة .. ولا موال ... أنا رحّال

رحّال العمر ... في كل العمر ..

في قلب السهر .. في ضي القمر

بلا فرحة .. ولا موال ... أنا رحّال ..

رحّاله ولالي ... إلا الليالي ...

تحضني في سواد

رحّاله وأمالي ... تخليلي ناري ...

لتصبح رماد

بين الدروب ... رحّال ..
رحّال السنين ... في كل السنين
في صمتي حنين ... رحالة وحزين
أدور ... عن ليلة .. يكون فيها القمر
واسأل .. يقولوا .. مافي عنه خبر
يعني خلاص ... حافضل كدا طول الدهر
حافضل كدا على طول ..
ومشواري بيا يطول ..
الين القى حبيب رحّال ..

دارت الدنيا

كلمات : ممدوح بن سعود
لحن وغناء : عبادى الجوهر

دارت الدنيا .. وحبينا ونسينا
حبيناكم لكن .. رجعنا وما درينا

حاولنا بعدكم .. ننسى
حاولنا بعدكم .. نقسى
ما لقينا فى الدنيا .. دى لينا

والامر مال غير .. حضنكم مرسى يدفينا
طاوعنا في حبكم .. إحساس ..
وطاوعنا في بعدكم .. الناس ..

ما قدرنا في بعدكم .. نرتاح ..
وما لقينا في بعدكم .. أفراح ..

خذوا بايدينا

أخيرا

بعد مرحلة «رحال» كان على عبادي أن يعيد حساباته من جديد مع الفن فقد شعر في قرارة نفسه أنه استطاع أن يشكل لنفسه القاعدة الجماهيرية وينبغي عليه الاستمرار في خط يميزه عن غيره حتى يحافظ ويزيد من حجم هذه القاعدة..

ومنذ ذلك الوقت اتخذ «عبادي» لنفسه خطاً جديداً في التلحين حيث استطاع أن يجمع ما بين مقدرته على الوصول إلى النغمة الأصيلة وبين التمسك مع الاطلاع على الكثير من الأعمال التراثية.

ومنذ تلك المرحلة وحياة عبادي حافلة بالعديد من الروائع حيث قدم فيها عدداً من الأعمال الكبير التي شكلت لعبادي جمهوراً خاصاً به يؤكد على مكانته كواحد من أفضل من أنجبتهم هذه الأرض من الفنانين..

حتى كانت المرحلة الأهم من تاريخه الفني الحديث وهي المرحلة التي مازالت تجمعه مع الأمير عبدالرحمن بن مساعد منذ عام ١٩٨٦م حين قدما رئعتهما الغنائية «بنفترق».

واستمر هذا الثنائي في تقديم روائع جديدة مثل «الصبر» و«أصدق ما كتبت» و«قالوا ترى» و«إيش تبين» و«السفينة».

بنفترق

كلمات/الأمير عبدالرحمن بن مساعد

ألحان : عبادي الجوهر

تدرين وأدري بنفترق
وتدرين قلبي بيحترق ..
حنا اتفقنا في كل شيء .. إلا الزعل ...
عيا الزمن لا نتفق ..
والا تزعلي .. لو نفترق ...
قلبك خلي .. وقلبي أنا اللي بيحترق .
ياوردة في كل الفصول .. يافرح عيا لايطول ..
قولي وأقول
إن كان عندك لي حلول ..
يافرحة القلب الحزين .. الوقت يمر ..
وما لك عذر ..
كأنك تبين .. ننسى العمر .. ننسى السنين ..
ونذوب في حب وحنين ..
تدرين وش سر الحكاية ؟ الوقت ..،

ولكل شي لابُد نهاية ..
وحنّا قربنا من النهاية ..
ومالك عذر .. يا بسمة الثغر الخجُول ..
إن كان عندك لي حلول ..

وإن كان ودّك نتفق ..

وإلا ترى أنا بنفترق ..
وإلا تزعلي .. لو نفترق ..
قلبك خلي .. وقلبي أنا اللي بيحترق ..
ياحب يا دنيا جديدة ..
يا أحلى أبيات القصيدة ..
إن كان جرحك ما كفى .. أنزف لك جروح جديدة ..
وإن شعري ما وفى .. أنسى الحلى وانسى القصيدة
يا أحلى أيام العُمر .. كثر الحكي وش بيفيد ..
ما بقى عندي صبر .. والجرح في قلبي يزيد ..
مالك عُذر ..
يا بسمة الثغر الخجول ..
ما ظن عندك لي حلول ..

ماظُن ودَّك نتفق ..
واحنا ترانا بنفترق ..
والا تزعل علي لو نفترق ..
قلبك خلي وقلبي أنا اللّي بيحترق ..

* *

محتويات الكتاب

قالــــوا عــن عبــادي





● خالد بن يزيد ●

قناعتي في عبّادي على انه قادر على أن يوصّل الكلمة لأذن المستمع بشكل جيِّد.

خالد بن يزيد
جريدة الندوة ١٤٠٩/٤/٨هـ



● طلال مداح ●

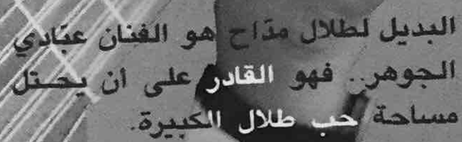


عبّادي الجوهر في رأيي افضل ملحِّن موجود في الجزيرة العربية إذا لم يكن في العالم العربي..

طلال مداح
الجريدة الرياضية ١٤٠٩/٦/٢٥هـ



● حسين عبد الرضا ●



البديل لطلال مدّاح هو الفنان عبّادي الجوهر.. فهو القادر على أن يحتل مساحة حب طلال الكبيرة.

حسين عبد الرضا
برنامج مع النجوم ١٤٠٨هـ



● محمد علي سندي ●

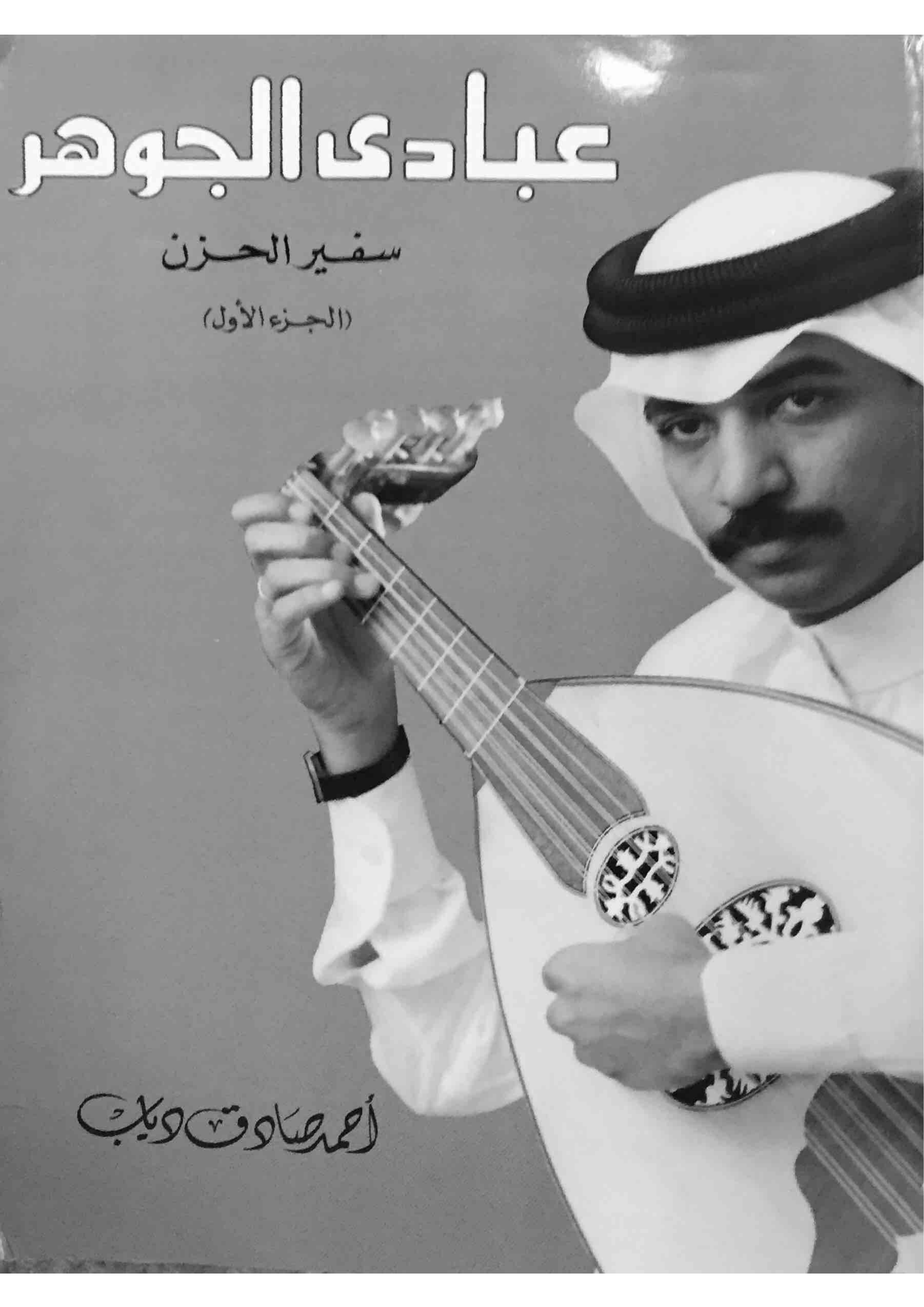


أعتقد أن الفنان عبّادي الجوهر هو خبر الموجودين في رأيي ويعجبني عزفه على الأوتار.

محمد علي سندي
جريدة الندوة ١٤٠٦/٢/٧هـ

تهامة للتوزيع
TIHAMA DISTRIBUTION
هاتف: ٦٦٩٥٠٠٠

الثمن ٢٠ ريال


عبادي الجوهر
سفير الحزن
(الجزء الأول)
أحمد صادق ديab